

المدخل إلى علم الهدايات القرآنية

تأليف

الدكتور محمد بن علي بن جميل المطري





١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس ولم يجعل له عوجًا، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن قوة الأمة الإسلامية وعزها وصلاحها في تدبر القرآن الكريم واتباعه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] أي: يهدي لأحسن الخصال وأكملها وأنفعها وأصلحها في كل الأمور والأحوال، وفي كل زمان ومكان، فالهدايات القرآنية تصلح حياة الناس وتهديهم في دينهم ودنياهم، وتحافظ على ضرورياتهم، وتُحصّل مصالحهم، وتُلبي حاجاتهم، وتراعي واقعهم، وتعالج مشكلاتهم، وتهديهم في نوازلهم، وتسائر التقدم العلمي والحضاري بما لا يخالف الشريعة الإسلامية الربانية الحكيمة.

والقرآن العظيم فيه بيان كل ما يحتاج إليه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم نصًا أو دلالة أو استنباطًا، عِلِمَ ذلك من عِلِمه، وجِهله من جِهله، قال الله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

فالقرآن كتاب هداية، يهدي من تدبره في جميع الأمور الدينية والدنيوية، وفي مختلف الأحوال من غنى وفقر، وصحة ومرض، وأمن وخوف، وسلم وحرب، فيه ما يصلح الأمة في عقيدتها وعبادتها وأخلاقها ومعاملاتها، وفيه ما يحتاجه الأفراد والأسر، والمجتمعات والدول، وفيه حلٌ لجميع مشكلات المسلمين الخاصة والعامة، الداخلية والخارجية، وفيه الرد على كل مبتدع ومبطل، وهو طريق عز المسلمين وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

وهذه الرسالة بعنوان: المدخل إلى علم الهدايات القرآنية، بينت فيها مبادئ هذا العلم، وأهم مسائله وقواعده وضوابطه، ومباحث مهمة تتعلق به، مع ذكر بعض النماذج للهدايات القرآنية، وأسأل الله أن ينفع بهذه الرسالة طلاب العلم، والله الموفق.

وكتب / مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ جَمِيلٍ الْمَطَرِيُّ

صنعاء - اليمن

٨ من شهر ربيع ثاني ١٤٤٨ هـ

matari63@hotmail.com

واتس: ٠٠٩٦٧٧٧٧١٧٥٩٢٧

تعريف الهدايات القرآنية

الهدى لغة ضد الضلالة، بمعنى البيان والإرشاد، ويتعدى بنفسه وبالحرف، تقول: هديته الطريق، وهديته إلى الطريق أو هديته للطريق^(١)، قال الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

والهداية نوعان:

الأولى: هداية بمعنى الإرشاد، وهذه الهداية يقوم بها الرسل وأتباعهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال عز وجل: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فأثبت لهم الهداية التي بمعنى الإرشاد والدلالة.

الثانية: هداية بمعنى التوفيق، وهذه الهداية لا يقدر عليها إلا الله وحده، كما

(١) يُنظر: الصحاح للجوهري (٦/٢٥٣٣)، المخصص لابن سيده (٤/٥١).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] وقال الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣] ^(١).

والمراد بالهدايات القرآنية في الاصطلاح: الإرشادات القرآنية التي تُبين الحق، وتُبطل الباطل، وتوصل إلى كل خير، وتمنع من كل شر.
وعلم الهدايات القرآنية هو: استخراج الإرشادات القرآنية بدلالة ظاهرة أو خفية ^(٢).

(١) يُنظر: تفسير القرطبي (١/ ١٦٠).

(٢) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (١/ ٤٤)، المبادئ العشرة لعلم الهدايات القرآنية لفخر الدين الزبير (ص: ١٢، ١٣)، تقريب الهدايات القرآنية للمؤلف (ص: ٥).

موضوع الهدايات القرآنية واستمداده

موضوع الهدايات القرآنية هو آيات القرآن الكريم.

وعلم الهدايات يستمد مادته بالاستنباط والاجتهاد المنضبط المبني على القواعد والأصول الشرعية وأساليب اللغة العربية وتنزيل الآيات على الواقع. والقرآن الكريم يتضمن ما يحتاجه الأولون والآخرون، وهو أعظم من أن يحيط بجميع معانيه عالمٌ ومفسرٌ واحد أو علماء زمن معين، فمن عظمة القرآن أنه لا تنقضي عجائبه، وأنه يهدي للتي هي أقوم في كل زمان ومكان، ولم يزل العلماء يستخرجون من القرآن الكريم الهدايات القرآنية الظاهرة والخفية، وما يُستخرج بدلالة خفية هو ما يسميه العلماء الاستنباط.

قال ابن قتيبة: "ولا نعلمه سبحانه خصّ بالعلم قومًا دون قوم، ولا وقفه على زمن دون زمن، بل جعله مشتركًا مقسومًا بين عباده، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول، ويُنَبِّه المقلِّ فيه على ما أغفل عنه المكثّر"^(١).

وقال الرازي: "وقد ثبت في أصول الفقه أن المتقدمين إذا ذكروا وجهًا في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها، ولولا

(١) إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث (ص: ٤٥).

جواز ذلك وإلا لصارت الدقائق التي استنبطها المتأخرون في تفسير كلام الله مردودة باطلة، ومعلوم أن ذلك لا يقوله إلا مقلدٌ خَلَفُ" (١).

وقال ابن القيم: "أسرار القرآن الكريم أكثر وأعظم من أن يحيط بها عقول البشر" (٢).

وقال ابن الحاج: "عجائب القرآن والحديث لا تنقضي إلى يوم القيامة، كل قرن لا بد له أن يأخذ منه فوائد جمّة خصه الله بها، وضمها إليه؛ لتكون بركة هذه الأمة مستمرة إلى قيام الساعة" (٣).

ونصوص القرآن تنقسم إلى قسمين:

الأول: نصّ ظاهر لا يخفى، ولا يحتاج إلى تفسير، وهذا يستنبط منه المتدبر مباشرة.

الثاني: نصّ يحتاج إلى تفسير، وهذا يكون الاستنباط منه بعد بيانه وتفسيره. والاستنباط يكون بربط المعنى المستنبط بمدلول الآية، بأي نوع من أنواع

(١) التفسير الكبير (٩/ ٤٩٠).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٨٣).

(٣) المدخل (١/ ٧٥).

الربط، إما بدلالة الإشارة أو بدلالة المفهوم، أو غير ذلك، وقد يكون الاستنباط لفائدة علمية أو لحكم فقهي أو عقدي أو لأدبٍ أخلاقي، وقد يكون الاستنباط لفوائد تربوية^(١).

ويجوز الاستنباط من القرآن العظيم بشرطين اثنين، هما:

الشرط الأول: أن يحتمل المعنى المستنبط ظاهرَ لفظ القرآن الكريم وسياقه، بما يوافق قواعد اللغة العربية في الأفراد والتركيب.

الشرط الثاني: أن لا يخالف المعنى المستنبط صريح القرآن أو ما صح من السنة النبوية، فإنَّ القرآن الكريم حقٌّ يصدق بعضه بعضًا، والسنة الصحيحة حقٌّ توافق القرآن ولا تخالفه.

فمن أتى بمعنى جديد أو هداية أو استنباط يخالف ما قرره القرآن أو السنة الصحيحة فإنه معنى خاطئ يقينًا لا يُقبل بحال، ومن أتى بمعنى جديد أو هداية أو استنباط جديد يحتمله لفظ القرآن ولا يخالف ما قرره القرآن أو السنة الثابتة فإنه معنى صحيح، يُقبل منه؛ لأن القرآن الكريم حمّالٌ أوجه، وهذا من عظمة

(١) يُنظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر للطيار (ص: ١٦٠، ١٦١).

القرآن، فالآية الواحدة قد تُفسَّر بأكثر من قول إن كانت تلك الأقوال صحيحة المعاني، ويحتملها اللفظ القرآني وسياقه بما يوافق قواعد اللغة العربية التي أنزل الله بها القرآن الكريم^(١).

قال الموزعي: "لم يزل العلماء يبدون من التأويلات التي يحتملها الخطاب في المآل بضرب من النظر والاستدلال ما لا تُحصى كثرته على تعاقب الدهور والأعصار، ولا حَجَرٍ إلا في التفسير المنصوص الذي بيّن الشارع ﷺ مراد الله جل جلاله"^(٢).

وقال الشوكاني: "المعاني المأخوذة من كتاب الله سبحانه كثيرة العدد، يستخرج منها كل عالم بحسب استعداده، وقدر ملكته في العلوم"^(٣).

(١) يُنظر: التجديد عند المفسرين، مقال للمؤلف منشور في شبكة الألوكة، وجامع الكتب الإسلامية، وشبكة مشكاة الإسلامية.

(٢) تيسير البيان لأحكام القرآن (٢/ ٢٢٩).

(٣) أدب الطلب (ص: ١٤٨).

نشأة علم الهدايات القرآنية

لم يزل العلماء عامة والمفسرون خاصة يبينون معاني آيات القرآن وما فيها من الهدايات القرآنية منذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام إلى زماننا، ولا تخلو غالب كتب التفسير القديمة والحديثة من ذكر هدايات قرآنية، ولم ينتشر مصطلح الهدايات القرآنية إلا في هذا القرن الخامس عشر الهجري، ومن المفسرين المعاصرين الذين أشهروا هذا الاسم: أبو بكر الجزائري (ت ١٤٣٩هـ) في تفسيره أيسر التفاسير، ومصطفى مسلم (ت ١٤٤٢هـ) في كتابه مباحث في التفسير الموضوعي ومباحث في إعجاز القرآن.

ولم يبرز مصطلح علم الهدايات القرآنية ويتميز كعلم مستقل إلا بعد إنشاء كرسي الهدايات القرآنية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٣٢هـ، وبعد عدة ملتقيات وبحوث مُحكَّمة صدرت سنة ١٤٣٨هـ أول دراسة تأصيلية لهذا العلم بعنوان: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية من تأليف الدكتورة الفضلاء: طه عابدين طه، وياسين قاري، وفخر الدين الزبير، بإشراف الدكتور يحيى زمزمي، وبعد هذه الدراسة التأصيلية بدأ العمل على أول موسوعة عالمية متخصصة في جمع الهدايات القرآنية بمشاركة ستين باحثًا أكاديميًا من أكثر من ثلاثين جامعة من دول شتى.

فأول من أصّل علم الهدايات القرآنية هو: كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ومن أعظم مشاريعها العلمية: الموسوعة العالمية في الهدايات القرآنية بإشراف كرسي الهدايات القرآنية في جامعة أم القرى في نحو ٦٥ مجلدًا، ثم نشأت عدة مراكز بحثية ومؤسسات علمية لها جهود مباركة في علم الهدايات القرآنية، منها:

١- مركز مكة العالمي للهدى القرآني، ومن إصداراته: موسوعة الهدايات القرآنية الإلكترونية، ومصحف هداية، وهو مصحف مطبوع على هامشه جملة من الهدايات القرآنية التي تم اختيارها واختصارها من موسوعة الهدايات القرآنية بمعدل ٣٣ هداية في الوجه الواحد من المصحف، ومجموع ٥٠,٠٠٠ هداية في كامل المصحف.

٢- مؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة، ومن إصداراتها مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى بمكة: الجامع في الهدايات القرآنية.

٣- الهيئة العالمية لتدبر القرآن (تدبر)، ومن إصداراتها: ليدبروا آياته، وثلاثون مجلسًا في التدبر، كلاهما في عدة مجموعات.

٤- مركز تفسير للدراسات القرآنية، ومن إصداراته: كتاب المختصر في تفسير القرآن الكريم، مطبوع بهامش المصحف، ويتميز هذا التفسير بذكر بعض الهدايات القرآنية باختصار في كل صفحة.

٥- مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي، ومن إصداراته: القرآن تدبر وعمل بهامش المصحف الشريف، وهو منهج متكامل ومتخصص في التدريب على تدبر القرآن والعمل به.

٦- مشروع مصحف التدبر، ومن إصداراته: كتاب هدايات القرآن الكريم بهامش المصحف.

وظهرت مؤلفات كثيرة في الهدايات القرآنية لكثير من الباحثين، منها:

١- الرؤية الكلية للاستهداء بالهدى لطفه عابدين.

٢- طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها دراسة تطبيقية لطفه عابدين.

٣- تفسير وهدايات جزء عم لطفه عابدين.

٤- المقاصد الكبرى للقرآن الكريم لطفه عابدين.

٥- المبادئ العشرة لعلم الهدايات القرآنية لفخر الدين الزبير.

٦- هدايات الأمثال القرآنية لفخر الدين الزبير.

٧- هدايات الآيات لفائز بن سيف السريح.

٨- هدايات الأجزاء لعمر بن عبد الله المقبل.

٩- موسوعة هدايات القرآن لمحمد السيد ماضي، مطبوع في (١٠ مجلدات).

نسبة علم الهدايات القرآنية

علم الهدايات القرآنية من علوم القرآن، وبينه وبين التفسير والتدبر علاقة وثيقة، فالتفسير هو: بيان معاني آيات القرآن الكريم. والتدبر هو: تأمل آيات القرآن الكريم، وإعادة النظر فيها مرة بعد أخرى، والتفكر في معانيها الظاهرة والمستنبطة، وتنزيلها على الواقع، والنظر في مناسبة الآيات والسور، ومقاصد السور. والهدايات القرآنية هي الإرشادات المستفادة من معاني آيات القرآن الكريم، التي تبين ما تضمنه القرآن الكريم من العلم النافع، والعمل الصالح، منطوقاً أو مفهوماً، مما هو ظاهر أو مستنبط.

والأصل أن التفسير يكون أولاً، والتدبر يكون غالباً ثانياً بعد التفسير وفهم المعنى، وقد يكون التدبر لمعرفة القول الراجح في تفسير الآية.

ومعرفة الهدايات القرآنية واستخراجها يكون بعد التفسير والتدبر، فيتأمل المفسر والمتدبر الآيات القرآنية وكلماتها وسياقها وموضوعاتها ومقاصد سورها وتناسب ترتيب آياتها وسورها وأولها وآخرها، ويربط آياتها بالواقع، ويستحضر مقاصد الشريعة وأصولها لأجل الانتفاع بما دلت عليه من الهدايات القرآنية العلمية والعملية المتنوعة، فالعلاقة بين التفسير والتدبر والهدايات القرآنية علاقة وثيقة، فإن المتأهل لاستخراج الهدايات القرآنية يبدأ أولاً بمعرفة

تفسير الآيات ليفهم معانيها، ثم يتدبرها من أجل أن يستخرج هداياتها^(١).
ويمكن توضيح الفرق بين علم التفسير والتدبر وعلم الهدايات القرآنية
فيما يلي:

١ - علم التفسير يهتم بتوضيح معاني الآيات ليسهل تدبرها، بينما علم
الهدايات يهتم بما تهدي وترشد إليه تلك المعاني القرآنية، فالتفسير بيان
وتوضيح لتيسير التدبر، والهدايات دلالات وإرشادات تعرف وتستخرج من
الآيات بعد التفسير والتدبر.

٢ - علم التفسير يحرص المفسر فيه على تفسير القرآن بالقرآن الكريم،
وبالسنة النبوية، وبأقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، وبما يوافق اللغة العربية،
ويتدبر الآيات لمعرفة معانيها وأحكامها، واستخراج هداياتها، بينما في علم
الهدايات يحرص المستنبط على تدبر معاني الآيات، والتأمل في دلالات
ألفاظها، والنظر في سياقها، والتفكير في مناسبة السورة والآيات لما قبلها وما
بعدها، واعتبار موضوع السورة، والتفكير في مجموع أدلة الكتاب والسنة، وربط
الآيات بالواقع، واستحضار مقاصد الشريعة وأصولها.

(١) يُنظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر للطيار (ص: ٥٤، ١٨٦ -
١٩٠)، تقريب الهدايات القرآنية للمؤلف (ص: ٥).

٣ - التدبر عمل قلبي شخصي غالباً، لا ينوب فيه أحد عن أحد، ويصح التدبر من العالم والجاهل والمسلم والكافر والمنافق، والتفسير هو بيان معاني كتاب الله وأحكامه، ولا يكون إلا من العلماء، وعلى غير العلماء أن يستفيدوا من تفسير العلماء، فالعلماء هم الذين يستنبطون الهدايات القرآنية الظاهرة والخفية، وقد تظهر بعض الهدايات القرآنية لغير العلماء من طلاب العلم وعامة الناس، فيتذكر المسلم بالقرآن ما ينفعه في دينه ودنياه.

٤ - التفسير والتدبر مقدمة لعلم الهدايات، فالتفسير والتدبر وسيلتان، والهدايات هي الغاية، فإن المقصد من تفسير القرآن العظيم وتدبره هو معرفة هداياته للعلم والعمل بها^(١).

(١) يُنظر: هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها؟ لفريد الأنصاري (ص: ٦١-٧٥)، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (١/ ٤٨-٥٥).

فضل علم الهدايات وأهميته

علم الهدايات القرآنية يحقق المقصود من القرآن الكريم، وهو هداية الناس، فغاية هذا العلم تحقيق الهداية في الأمور الدينية والدنيوية، وحصول السعادة في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ۚ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

وهدايات القرآن الحكيم هي أعظم الهدايات وأقومها وأوضحها؛ فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس علماً وعملاً، فالقرآن هو كلام الله أحكم الحاكمين، وهو المعجزة الخالدة لخاتم النبيين، آياته تخاطب القلوب، وتنير العقول، وتهدي الناس في جميع الأمور.

فهو قرآن كريم، حكيم، عزيز، عظيم، مجيد، مبین، مبارك، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢].

وهدف الهدايات القرآنية إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهداية الناس للتي هي أقوم في كل الخصال: في العقائد والعبادات والمعاملات، وفي المُلْك والحكم والسياسة والأخلاق، وفي سائر الأمور الدينية والدنيوية. والمسلمون في أمس الحاجة - لا سيما في عصرنا - إلى معرفة هدايات

القرآن الكريم، وتمثلها في واقعهم العملي؛ فإنَّ كلَّ كمال ديني أو دنيوي، عاجلٍ أو آجلٍ مفتقرٌ إلى الهدايات القرآنية؛ إذ إنها لازمة لكلِّ صلاح وإصلاح في الأرض، سواء في مجال العقيدة أو العبادة أو الأخلاق أو المعاملات أو غير ذلك من سائر جوانب الحياة، وبهذه الهدايات الربانية تتحقق السعادة الحقيقية.

فوائد علم الهدايات القرآنية

أنزل الله كتابه لتتذكر به ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢٩﴾ [ص: ٢٩].

ومن ثمار تدبر القرآن استنباط الهدايات القرآنية من كل آية من آياته، فالقرآن الكريم كتاب مجيد، كثير المعاني والوجوه، كثير الخير والبركات، وصفه الله بأنه مجيد فقال: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ﴿١﴾ [ق: ١]، والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها.

وبالهدايات القرآنية يزداد الإيمان، وتصلح القلوب والأعمال والأخلاق، ويتبين الحق من الباطل، ويجتمع المسلمون على الحق، ويتآلفون ويتعاونون على البر والتقوى، وتحصل لهم السعادة الحقيقية والحياة الطيبة والطمأنينة، ويحصل لهم التمكين في الأرض، ويفوزون برضا الله وجنته.

فالقرآن العظيم مشروع رباني متكامل، ومنهج إصلاح شامل لهداية الناس في جميع أمور دينهم ودنياهم، على اختلاف أحوالهم، وفيه إصلاح جميع مشكلات البشرية الخاصة والعامة، وكل كمال ديني أو دنيوي، عاجل أو آجل مفتقر إلى الهدايات القرآنية، في مجال العقائد أو العبادات أو الأخلاق أو المعاملات، وغير ذلك من سائر جوانب الحياة الاجتماعية والتربوية

والاقتصادية والسياسية، فهو دستور شامل للأمة الإسلامية.
وهدايات القرآن العظيم تحقق للأمة السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة،
فهو يحث المسلمين على التعاون على البر والتقوى، ويدعوهم إلى اتباع
الهدى، وتحقيق التقوى، واستعمال العقول، والتفكر في الكون، والتخلي عن
الأوهام والظنون، ويدعو إلى تحقيق العدل والإحسان، وأداء الأمانات إلى
أهلها، وإعطاء كل ذي حق حقه، ويبين للأمة أسباب النصر والتمكين.

وصف الهدايات القرآنية وخصائصها

الهدايات القرآنية لها صفات وخصائص تتميز بها منها ما يلي:

- ١ - هدايات القرآن مستقيمة لا اعوجاج فيها.
- ٢ - هدايات القرآن قيمة لا ريب في صلاحها ونفعها.
- ٣ - هدايات القرآن مباركة لا ينفد عطاؤها، ولا يُحد خيرها.
- ٤ - هدايات القرآن واضحة، سهلة الفهم، قوية التأثير، يسر الله فهمها واستنباطها، ويسر تعلمها وتعليمها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].
- ٥ - هدايات القرآن ربانية المصدر والغاية، لا شك في صحتها ونفعها.
- ٦ - هدايات القرآن من اتبعها لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.
- ٧ - هدايات القرآن محفوظة منذ بعثة النبي محمد ﷺ إلى قيام الساعة.
- ٨ - هدايات القرآن عامة لجميع الناس عربهم وعجمهم، تذكرهم جميعاً في كل زمان ومكان ما فيه صلاحهم في الدين والدنيا والآخرة.
- ٩ - هدايات القرآن كاملة في هديها، أخبارها صادقة، وأحكامها عادلة، تذكر الناس بما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم، فيتعظ بها المتدبرون المتقون، ويهتدون باتباعها في جميع أمورهم وأحوالهم،

وَيَسْلَمُونَ بِالْإِعْتِصَامِ بِهَا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالشَّبَهَاتِ، وَيَسْتَشْفُونَ بِهَا مِنْ

جَمِيعِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ، وَتَصْلَحُ بِسَبَبِهَا أَعْمَالُهُمْ وَأَخْلَاقُهُمْ.

١٠- هدايات القرآن مثالية وواقعية، مثالية تهدي لأفضل الطرق، وواقعية

متوافقة مع حاجة الإنسان فردًا وجماعة، وتراعي جميع أحوال الناس

المختلفة من صحة ومرض، وقوة وضعف، فلا يكلف الله نفسًا إلا

وسعها، ولا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة، ولا إثم على من

لم يتعمد الخطأ^(١).

(١) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (١/ ٧٨-٨٣،

١٠٢-١٣٤).

مسائل علم الهدايات القرآنية

هدف الهدايات القرآنية إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهداية الناس للتي هي أقوم في العقائد والعبادات والمعاملات، وفي الملك والحكم والسياسة والأخلاق، وفي سائر الأمور الدينية والدنيوية، فتحافظ على ضرورياتهم، وتحصل حاجياتهم، وتراعي واقعهم، وتعالج مشكلاتهم، وتهديهم في نوازلهم، وتسائر التقدم العلمي والحضاري بما لا يخالف النصوص الشرعية، فالأصل في العقود والعادات ومختلف المنافع من الأطعمة والأشربة والأدوية والتجارات والمعاملات وغيرها الإباحة إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة، ولا مؤاخذه على الخطأ والنسيان.

ومن مجالات الهدايات القرآنية:

- ١- العقائد.
- ٢- العبادات الظاهرة والباطنة.
- ٣- التزكية والأخلاق والآداب.
- ٤- جميع الأمور الدنيوية الاجتماعية والمالية والاقتصادية والطبية والقضائية والسياسية والعسكرية والصناعية وغيرها.

٥ - مجال العلوم الكونية والنفسية، القرآن الكريم كتاب هداية وحكم وتشريع، وليس من مقاصده بيان العلوم الكونية والنفسية، ولكن هذه الأمور قد يذكر بعضها في القرآن عرضاً، وليست هي المقصود بالذات، فنجد في القرآن الكريم هدايات تتعلق بالعلوم الكونية والنفسية بيّنها بعض المتخصصين في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، مما هو ظاهر بلا تكلف، وفي معرفتها زيادة في اليقين والإيمان، وزيادة أدلة على صدق القرآن وإثبات نبوة محمد ﷺ، ووسيلة عظيمة لدعوة الكفار إلى الإسلام^(١).

(١) يُنظر: شرح القواعد الحسان لابن عثيمين (ص: ١٢١-١٣٦، ١٨٢-١٨٣، ٢٠٧-٢١١)، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (١/ ١٦٥-٢٢٨).

حكم علم الهدايات القرآنية

القرآن الكريم هو أصل العلم، وأفضل العلوم على الإطلاق، وعلم الهدايات القرآنية هو ثمرة علم التفسير والتدبر، فتعلم الهدايات القرآنية واجب كفائي، ومستحب في حق كل مسلم بقدر استطاعته، يقول النبي ﷺ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))^(١)، فعلى طالب العلم أن يحرص على تعلم القرآن تلاوة وحفظاً وتفسيراً، وليتوسع في علم تفسير كتاب الله ومعرفة هداياته بقدر استطاعته، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (من أراد العلم فليُثَوِّر القرآن؛ فإن فيه علم الأولين والآخرين)^(٢). ومعنى تثوير القرآن أي: كثرة تدبره، وتكرار التأمل فيه للاهتمام بهداياته.

قال الإمام الشافعي في الحث على تعلم كتاب الله: "فحقَّ على طلبة العلم بلوغُ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبرُ على كل عارض دون طَلَبِهِ، وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصًّا واستنباطاً، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يُدْرِك خَيْرٌ إلا بعونه. فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالاً،

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد بن حنبل في كتاب الزهد (٨٥٦).

ووفقه الله للقول والعمل بما عِلِمَ منه؛ فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه

الرَّيْب، وَتَوَرَّتْ فِي قَلْبِهِ الْحِكْمَةُ، وَاسْتَوْجِبَ فِي الدِّينِ مَوْضِعَ الْإِمَامَةِ"^(١).

وقال الواحدي: "إِنَّ أَهَمَّ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمَجْمَعِ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ، كِتَابُ

اللَّهِ الْمَوْدَعِ نَصُوصِ الْأَحْكَامِ، وَبَيَانَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْمَوَاعِظِ النَّافِعَةِ، وَالْعِبَرِ

الشَّافِيَةِ، وَالْحَجَجِ الْبَالِغَةِ، وَالْعِلْمُ بِهِ أَشْرَفُ الْعُلُومِ وَأَعَزُّهَا وَأَجْلَاهَا"^(٢).

والنبي ﷺ عندما دعا لابن عباس رضي الله عنهما بالعلم دعا له بالفقه في

الدين وتعلم التفسير فقال: ((اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ))^(٣)، وهذا

يدل على أهمية الجمع بين الفقه في الدين وتعلم التفسير^(٤).

وقد فسر أبو الدرداء وابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي

الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا

(١) الرسالة (ص: ١٩).

(٢) الوسيط (١/ ٤٧).

(٣) رواه أحمد بن حنبل في مسنده (٢٨٧٩) من حديث ابن عباس بإسناد صحيح.

(٤) يُنْظَرُ رِسَالَتِي: حَثُ الطَّلَابِ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ، وَهِيَ

منشورة بحمد الله في شبكة الألوكة.

يَذَكِّرُ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ [البقرة: ٢٦٩] بأنه المعرفة بالقرآن،
والتفكير فيه^(١).

وعن الحسن البصري قال: (ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تُعلم فيم
أنزلت، وما أراد بها)^(٢).

قال الشوكاني: "ينبغي للطالب أن يُطوّل الباع في علم التفسير، ويطالع
مطولات التفاسير، فإن المعاني المأخوذة من كتاب الله سبحانه كثيرة العدد،
يستخرج منها كلُّ عالم بحسب استعداده، وقد مرّ ملكته في العلوم"^(٣).

(١) رواه عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٣١، ٥٣٣).

(٢) رواه المستغفري في فضائل القرآن (٢٧٣).

(٣) أدب الطلب (ص: ١٤٨) باختصار وتصرف يسير. ويُنظر: البدر الطالع بمحاسن من

بعد القرن السابع للشوكاني (٢/ ٨٧).

حال الناس مع الهدايات القرآنية

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ [الحاقة: ٤٨، ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق: ٣٧]، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرَجَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ))^(١).

والناس في العلم بالحق والعمل به على ثلاثة أقسام:

- ١ - من الناس من يعلم الحق ولا يعمل به، وهم اليهود المغضوب عليهم ومن شابههم من هذه الأمة.

(١) رواه البخاري (٥٤٢٧) ومسلم (٧٩٧).

٢- من الناس من يعمل بجهل وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، وهم النصارى ومن شابههم من هذه الأمة.

٣- من الناس من يعلم الحق ويعمل به، وهم المهتدون الذين أنعم الله عليهم بالعلم بالحق والعمل به.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الأقسام الثلاثة في سورة الفاتحة، في الدعاء العظيم الذي علّمنا وأمرنا أن ندعوه به في صلاتنا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

موانع الانتفاع بالهدايات القرآنية

من موانع الانتفاع بالهدايات القرآنية ما يلي:

- ١- وقوف السامع عند حسن صوت القارئ، وانصراف همه القارئ إلى تكثير عدد الختمات بلا تدبر.
- ٢- الغفلة عن تدبر القرآن بسبب الانشغال بالمبالغة في تحقيق التجويد عن المعاني، أو الاقتصار على تعلم القراءات المختلفة ومعرفة الوجوه النحوية في الإعراب والانشغال بذلك عن مقاصد القرآن وهداياته.
- ٣- الاكتفاء بالظاهر من المعاني بلا تدبر وتأمل لمفهوم الآيات ولوازمها وما يدل عليه سياقها ومقصودها.
- ٤- الاكتفاء بتشجيع الطلاب على حفظ القرآن الكريم دون فهم معانيه والاهتداء بهداياته.
- ٥- التقصير في تعلم التفسير، والانشغال عنه بعلوم أخرى، أو دراسة بعض علوم القرآن بلا حرص على الانتفاع بالهدايات القرآنية كمن يكتفي بدراسة آيات الأحكام أو آية معينة أو يكتفي بتعلم تفسير بعض سور القرآن أو يكتفي بتفسير شيخ أو تقليد مذهب.
- ٦- الاغترار ببعض الأحاديث والآثار المكذوبة، والروايات الإسرائيلية

الباطلة، والانشغال بالأقوال الشاذة والمتكلفة.

٧- تأويل القرآن بما يوافق المذاهب الباطلة والأفكار المنحرفة التي فيها إلحاد في آيات الله سبحانه.

٨- الظن بأن الهدايات القرآنية والاستنباطات المتنوعة لا بد لها من سلف.

٩- قصر الهدايات القرآنية على جوانب العقيدة والأحكام الفقهية والأخلاق فقط، وترك الاستفادة من الهدايات القرآنية في الجوانب التربوية والنفسية والاجتماعية والدعوية والاقتصادية والسياسية.

١٠- الفصل بين الواقع والقرآن، وعدم تنزيل الآيات على الواقع الخاص والعام^(١).

(١) يُنظر: طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها دراسة تأصيلية تطبيقية لطفه عابدين (ص: ٤٧ - ٦٩)، التدبر لعبد الله جوان (ص: ٢٢ - ٢٥).

أساليب القرآن في عرض الهدايات القرآنية

الأسلوب القرآني هو طريقة القرآن الكريم في اختيار الألفاظ، وتأليف الكلام، والدلالة على المعاني^(١).

ومن الأساليب البلاغية في القرآن الكريم لعرض هداياته:

- ١ - أسلوب الاستفهام، وهو من أنفع الأساليب في تقرير الهدايات القرآنية؛ لأنه يدفع العقل إلى التفكير، ويدعو النفس إلى قبول الحق، وقد تكرر الاستفهام في القرآن الكريم في أكثر من ألف ومائتي موضع، والاستفهام الوارد في القرآن الكريم قد يكون بمعنى الإنكار كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩]، أو الإقرار كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أو التوبيخ كقوله تعالى: ﴿اتَّخَشَوْهُمْ فَلَّاهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]، أو العتاب كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، أو التعجب

(١) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (١/ ٢٩١).

كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨]، أو الترغيب كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، أو التهويل كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [الحاقة: ١ - ٣]، وغير ذلك من معاني الاستفهام.

٢- أسلوب التوكيد، وقد يكون التوكيد لفظياً بتكرار اللفظ كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [التكاثر: ٣، ٤]، وقد يكون التوكيد بالفاظ التوكيد المعروفة كإِنَّ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: ٢].

٣- أسلوب التكرار، من أساليب القرآن في تقرير الهدايات القرآنية: التكرار في العقائد والأحكام والأخبار والقصص والترغيب والترهيب، فما تكرر تقرر، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤]، وقد تكررت بعض الآيات في بعض السور، كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ [المرسلات: ١٥] تكررت في سورة المرسلات عشر مرات، وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿١٣﴾ [الرحمن: ١٣]، تكررت في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة، وتكررت بعض القصص أكثر من مرة، وغير ذلك مما كرره الله سبحانه في كتابه بلفظه أو بمعناه.

٤ - أسلوب الجمع بين المعنيين المتقابلين، وهو ما يسمى في البلاغة الطباق والمقابلة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]، وقوله سبحانه: ﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢]، وقوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ [الليل: ٥ - ٩].

٥ - أسلوب الالتفات، وهو انتقال الكلام من أسلوب إلى آخر في سياق واحد، وله فوائد كثيرة بينها علماء البلاغة، منها التعظيم، والتشنيع، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ [الفاتحة: ٢ - ٥]، فأول الآيات فيها ضمير الغيبة، ثم انتقل الكلام إلى ضمير المخاطب تعظيمًا لله سبحانه، ولم يقل: إياه نعبد وإياه نستعين، وفي ذلك إشارة إلى

أن النجاة من عذاب يوم القيامة تكون بالفرار إلى الله سبحانه وتعالى، فلا نجاة من عذابه إلا بعبادته وحده ورحمته بعبده الذي عبده وتوكل عليه، وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝﴾ [مريم: ٨٨، ٨٩]، فالآية الأولى فيها ضمير الغائب، وانتقل الكلام في الآية الثانية إلى ضمير المخاطب تشنيعاً عليهم، ولم يقل: لقد جاءوا.

٦- أسلوب الحوار، في القرآن الكريم حوارات متنوعة فيها كثير من الهدايات الإيمانية والعقلية والإقناعية والتربوية، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَادِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝﴾ [الأحقاف: ٤].

٧- أسلوب ضرب الأمثال، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [الحشر: ٢١]، فالأمثال تقرب المعاني إلى الأذهان، وقد ذكر الله في القرآن كثيراً من الأمثال، منها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ [العنكبوت: ٤١ - ٤٣].

٨- أسلوب القصص، وقصص القرآن فيها تذكير وعبر ومواعظ ودروس وفوائد كثيرة متنوعة، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وقال سبحانه: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر: ٤].

٩- أسلوب التحدي والتعجيز، ورد هذا الأسلوب في كثير من آيات القرآن الكريم لتقرير الهدايات في مجالات متعددة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتَّبِعُوا عَشْرَ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَةٍ وَادْعُوا مَنْ أَسْطَظَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٣] فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ [هود: ١٣، ١٤]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ

شُرَكَاءُ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنِ يَدُوّ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ [فاطر: ٤٠].

١٠ - أسلوب الترغيب والترهيب، هذا الأسلوب كثير جداً في القرآن الحكيم، يحث الله على الخير بالترغيب فيه، والثناء على أهله، وبيان ما يكون لهم من الثواب في الدنيا والآخرة، ويحذر من الشر بالترهيب منه، وذم أهله، وبيان ما يكون لهم من العقاب في الدنيا والآخرة، ويذكر الله المقارنة بين الصالحين والفاستدين، ويبين رضاه عن الصالحين، ولعنته وغضبه على الفاسقين.

١١ - أسلوب التقديم والتأخير، من الأساليب البلاغية التقديم والتأخير، وبالنظر فيها تستخرج هدايات كثيرة، ومن ذلك: تقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قدّم المفعول على الفاعل للدلالة على الإخلاص واختصاص الله وحده بالعبادة والتوكل دون ما سواه.

١٢ - أسلوب الإجمال والإيجاز، من الأساليب القرآنية جمع المعاني العظيمة في ألفاظ يسيرة، ومن ذلك سورة الفاتحة التي هي أم القرآن التي جمعت

جميع معانيه، وهي سبع آيات فقط، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله في آية الأخلاق: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ^(١).

(١) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٤١، ٦٤-٦٩، ٩٣-٩٤، ١٠٩-١٢٣، ١٢٧، ١٣٣-١٣٤، ١٧٨-١٨٠، ١٩٢)، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (١/ ٢٩٧-٣٦٨).

وسائل القرآن في عرض الهدايات القرآنية

وسائل القرآن هي الطرق التي جاء بها القرآن الكريم لتحقيق هداياته^(١)، وهي طرق كثيرة منها:

- ١- الدعوة إلى استعمال العقل والتفكير في الحق والباطل، وفي أمور الدنيا والآخرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٢٠]، وفي القرآن العظيم أدلة عقلية كثيرة لتقرير الحق وإبطال الباطل، منها قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ ۖ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل

(١) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (١/ ٢٩١).

عمران: ٥٩]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِإِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢].

٢- ذم التقليد والتعصب للآباء والكبراء بلا علم، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

٣- الحث على تدبر القرآن الكريم واتباعه، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا

الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

٤- الحث على طاعة النبي عليه الصلاة والسلام واتباعه، والتأسي بالقدوة

الحسنة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿٢١﴾﴾

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ ﴿التوبة: ١٠٠﴾.

٥- سؤال الله الهداية، قال الله تعالى في أول سورة في المصحف مُعَلِّمًا عِبَادَهُ
أَنْ يَقُولُوا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]،
وعلمهم أَنْ يَقُولُوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ
لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨]، فالله يهدي من يشاء
بفضله، ويضل من يشاء بعدله.

٦- التذكير بأصل خلق الإنسان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ
خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ [الطارق: ٥]، وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ
رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

٧- التذكير بنعم الله الظاهرة والباطنة، العامة والخاصة، الدينية والدنيوية، فالله
سبحانه يُذَكِّرُ عِبَادَهُ بنعمه ليحث عِبَادَهُ على شكره، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ
تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ
ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال الكريم الرحمن: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا

نِعْمَةً اللَّهُ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل: ١٨]،
وقال ذو الفضل العظيم: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾
[فاطر: ٣]، وقال ذو الجلال والإكرام: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ [المائدة: ٨٩] ^(١).

(١) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (١/ ٣٧٠-٤١٨).

مشروعية استخراج الهدايات القرآنية إلى قيام الساعة

القرآن مجيد واسع المعاني، كثير البركات، بين الله فيه كل ما نحتاج إلى بيانه نصًّا أو دلالةً أو استنباطًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْوَقْرُ إِنَّ الْوَقْرَ الْوَقْرَ﴾ [ق: ١]، وقال الله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، قال الشافعي: "كل ما أنزل في كتابه جل ثناؤه رحمة وحجة، علمه من علمه، وجهله من جهله، لا يعلم من جهله، ولا يجهل من علمه. والناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به. فحقَّ على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصًّا واستنباطًا، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يدرك خير إلا بعونه ... فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلةً إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها" (١).

والقرآن حمًّا أوجه، قد تحتل الآية الكريمة أكثر من معنى صحيح، إذا احتملها اللفظ والسياق، ولم يعارض المعنى دليلاً شرعياً معتبراً، ولا يمكن

(١) الرسالة (ص: ١٣-٢٠).

لعالم أو علماء زمن معين أن يحيطوا بجميع معانيه وهداياته، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة)^(١).
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (هذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يُطفأ نوره)^(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (القرآن لا تنقضي عجائبه)^(٣).
فهدايات القرآن لا تنقضي إلى يوم القيامة، والعلماء المتدبرون لكتاب الله في كل قرن يأخذون منه فوائد جمة يخصصهم الله بها، والله يعطي من يشاء فهمًا في

(١) رواه عبد الرزاق الصنعاني كما في آخر مصنفه (٢٠٤٧٣) من طريق معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء، ورواه ابن أبي شيبة (٣٠١٦٣) عن الثقفى عن أيوب به موقوفا على أبي الدرداء، وصححه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٨١٣/٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٤٣١).

(٣) رواه الدارمي في سننه (٣٣٥٨)، وروى الترمذي في سننه (٢٩٠٦) مثل هذا عن علي رضي الله عنه مرفوعاً، ورجح ابن كثير أنه موقوف من قوله. يُنظر: تفسير ابن كثير (٢١/١).

كتابه وهو الوهاب الفتاح ذو الفضل العظيم^(١).

سُئِلَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم كتاب؟ قال: (لا، إلا كتابُ الله، أو فهمُ أعطيه رجلٌ مسلم)^(٢).

قال القسطلاني في شرح هذا الحديث: "يُفهم منه جواز استخراج العالم من القرآن بفهمه ما لم يكن منقولاً عن المفسرين إذا وافق أصول الشريعة"^(٣).

ومن الخطأ أن يعتقد الإنسان أن لا معنى لآيات القرآن إلا ما تناوله النقل عن السلف الصالح، وأن ما عدا ذلك تفسيرٌ بالرأي المذموم مطلقاً، فهذا من أعظم الحجب التي تحول دون الانتفاع بالقرآن العظيم، فإن القرآن مجيد واسع المعاني والدلالات، وهدايات القرآن مباركة ومتجددة، وصالحة في جميع

(١) يُنظر رسالتي: هل كل عالم دُون طلابه جميع أقواله ومروياته في العلم؟ وهل كل عالم روى أو كتَبَ جميع علمه؟ وهو مقال منشور في شبكة الألوكة.

(٢) رواه البخاري (١١١).

(٣) إرشاد الساري (١٦٠ / ٢).

الأحوال لكل إنسان، وفي كل مكان وزمان^(١).

قال ابن تيمية: "الإنسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك حتى كأنها تلك الساعة نزلت؛ فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله، وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر بخلاف من قرأه مع الغفلة عنه"^(٢).

وقال ابن القيم: "الرأي نوعان: أحدهما: رأي مجرد لا دليل عليه، بل هو خَرَص وتخمين، ... والثاني: رأي مستندٌ إلى استدلال واستنباط من النص وحده، أو من نص آخر معه، فهذا من ألطف فهم النصوص وأدقه"^(٣).

وقال محمد عبد الخالق عضيمة: "أسلوب القرآن معجز، لا يستطيع أحد أن يحيط بكل مراميهِ ومقاصده، فاحتمل كثيرًا من المعاني،

(١) يُنظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٢٨٤، ٢٨٤)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٢٨، ٢٩)، وللتوسع في هذه المسألة المهمة راجع رسالتي: حكم المعاني التي تحتملها آيات القرآن ولم تُنقل عن السلف الصالح.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٣٦). ويُنظر: قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي (ص: ١٠١-١٥٠).

(٣) إعلام الموقعين (١/ ١٨٠). ويُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٣٧٠-٣٧٥).

وكثيراً من الوجوه"^(١).

ومعلوم أن المفسرين يبينون معاني القرآن، ويكثرون من الاستنباطات منه بحسب ما رزقهم الله من فهم كتابه، فمستقل ومستكثر، وكل قول قامت عليه دلائل اللغة بلا تكلف، وتوافق مع دلائل السياق، وقرائن الوحي، وانضبط بأصول وقواعد الشرع فهو قول معتبر، وإن لم يكن منقولاً عن السلف الصالح^(٢).

قال ابن مالك: "وإذا كانت العلوم منحة إلهية، وموهاب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين، أعاذنا الله من حسد يسد باب الإنصاف، ويصد عن جميل الأوصاف"^(٣).

وعلق المرتضى الزبيدي على كلام ابن مالك فقال: "والمعنى أن تقدم الزمان وتأخره ليست له فضيلة في نفسه؛ لأن الأزمان كلها متساوية، وإنما

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٨ / ٧٩).

(٢) يُنظر: طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها دراسة تأصيلية تطبيقية لطفه عابدين (ص: ٥٥-٦١).

(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (ص: ٢).

المعتبر الرجال الموجودون في تلك الأزمان، فالمصيبُ في رأيه ونقله ونقده لا يضرُّه تأخُّرُ زمانه الذي أظهره الله فيه، والمخطئُ الفاسدُ الرأيِ الفاسدُ الفهم لا ينفعه تقدُّمُ زمانه، وإنما المُعاصرة كما قيل: حِجابٌ، والتقليد المَحْضُ وبألٍ على صاحبه وعذاب، وأنشدنا شيخنا الأديب عبد الله بن سلامة المؤذن:

قُلْ لِمَنْ لَا يَرَى الْمُعَاصِرَ شَيْئًا وَيَرَى لِلْأَوَّلِ التَّقْدِيمَا
إِنَّ ذَاكَ الْقَدِيمَ كَانَ حَدِيثًا وَسَيُسمَى هَذَا الْحَدِيثُ قَدِيمًا^(١).
وقال حاجي خليفة: "واعلم أن نتائج الأفكار لا تقف عند حدٍّ،
وتصرُّفات الأنظار لا تنتهي إلى غاية، بل لكل عالم ومتعلم منها حظٌّ يُحرزه
في وقته المقدَّر له، وليس لأحد أن يزاحمه فيه؛ لأنَّ العالمَ المعنوي واسعٌ
كالبحر الزاخر، والفيض الإلهي ليس له انقطاعٌ ولا آخر، والعلومُ منحٌ إلهية،
ومواهبٌ صمدانية، فغير مستبعد أن يُدَّخِرَ لبعض المتأخِّرين ما لم يُدَّخِر
لكثير من المتقدمين، فلا تغترَّ بقول القائل: ما ترك الأول للآخر، بل القول
الصحيح الظاهر: كم ترك الأول للآخر! فإنما يُستجَاد الشيء ويُستردَّل
لجودته ورداءته، لا لقدمه وحدوثه. ويقال: ليس بكلمةٍ أضرَّ بالعلم من

(١) تاج العروس (١/٩٣). وبعضهم روى الشطر الأخير من البيت الثاني هكذا: وسيغدو
هذا الحديث قديمًا.

قولهم: ما ترك الأول شيئاً؛ لأنه يقطع الآمال عن العلم، ويحمل على التقاعد عن التعلم، فيقتصر الآخر على ما قدّم الأول من الظواهر، وهو خطر عظيم، وقول سقيم، فالأوائل وإن فازوا باستخراج الأصول وتمهيدها فالأواخر فازوا بتفريع الأصول وتشبيدها"^(١).

واعلم أن كل عالم من السلف لم يدوّن طلابه جميع أقواله ومروياته في العلم، ولم يحدث كلُّ صحابي وتابعي بجميع ما يعلمه من تفسير القرآن الكريم، ويدل على هذا أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آيةً من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت)^(٢)، ومع هذا نجد آيات كثيرة في كتاب الله لم تُنقل فيها رواية عن ابن مسعود، وقال مجاهد: (عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها)^(٣)، ومع هذا نجد آيات كثيرة ليس في تفسيرها رواية عن ابن عباس ولا

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/٣٨).

(٢) رواه البخاري (٥٠٠٢) ومسلم (٢٤٦٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٢٨٧) وابن جرير في تفسيره (٨٥/١) والطبراني في

المعجم الكبير (١١٠٩٧).

عن تلميذه مجاهد، فالعلم بحر واسع، وليس كل ما في صدر العالم من علم مدوّنًا، فلو هُيئ أن سأل بعض التابعين أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليًا أو ابن مسعود أو أبي بن كعب رضي الله عنهم عن تفسير جميع آيات القرآن لوجد عندهم علمًا واسعًا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجًا فخرجت معه، فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة، فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة، فما أستطيع هيبة لك! قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فأسألك، فإن كان لي علم خبّرتك به)^(١)، فلو لم يسأل ابن عباس عمر لما علمنا جوابه، ولو سأل ابن عباس عن ذلك أبا بكر أو عثمان أو عليًا لأجابه، فالعلم خزائن مفاتيحها السؤال.

فعلم السلف هو الأصل الذي يجب التأسيس عليه، لكن لا يصح أن نظن أن جميع ما يدل عليه القرآن من العلوم الظاهرة والخفية والدقائق والإشارات قد علمها السلف الصالح رضي الله عنهم، وأنهم بينوا جميع ما تحتمله آيات القرآن الكريم من المعاني والهدايات والاستنباطات، ولم يتركوا شاذة ولا فاذة

(١) رواه البخاري (٤٩١٣) ومسلم (١٤٧٩).

إلا بينوها لمن بعدهم، وأنها منقولة عنهم في كتب التفسير بالمأثور!

فمن يظن أن السلف الصالح لا يخفى عليهم شيء من علوم القرآن الكريم الظاهرة والخفية، وأن جميع علمهم مدوّن في الكتب؛ فقد أخطأ يقيناً، فالقرآن أعظم من أن يحيط الناس بجميع معانيه وأسراره، فمن تعظيم القرآن الكريم أن تعتقد أنه لا يمكن لعلماء أي عصر أن يعلموا جميع ما فيه من المعاني والهدايات، وإن كان السلف الصالح أعلم الناس بكتاب الله سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقال الله سبحانه: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٦٦) لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ [الأنعام: ٦٦، ٦٧].
وقال الله عز وجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ [ص: ٨٧، ٨٨].

وتقدم ذكر قول ابن القيم: "أسرار القرآن الكريم أكثر وأعظم من أن يحيط بها عقول البشر" (١).

(١) بدائع الفوائد (١/ ٨٣).

وقال الجُدَيْع: "في الوقت الذي نوَكِّد فيه على ذم التقليد، وندعو إلى التجديد والرجوع إلى منابع هذا الدين الصافية، نقوم على أسس مستقرة في الأعماق لا نخشى معها زلزلة العواصف، بخلاف من يُقَدِّم على تفسير القرآن وهو يبذر في تربة سبخة، ويسقي بماء ملح، كشرذمة لا يكاد يخلو منهم زمان بعد خير القرون، يريدون الإبداع - زعموا - دون تاريخ، ويدَّعون التَّجديد دون قديم، ولا يُبدع من لا تاريخ له، ولا يُجدِّد من لا أصل له"^(١).

وقال مساعد بن سليمان الطيار: "المعنى يمكن أن يتعدد، ولم يكن من شرط التفسير أنَّ السابقين قد أتوا على جميع محتملاته، بل هناك بعض الاحتمالات الصحيحة التي لم يذكرها السلف، وهذه الاحتمالات تُقبل إذا توافرت فيها الضوابط الآتية:

١ - أن يكون المعنى المذكور صحيحًا في ذاته.

٢ - أن لا يبطل قول السلف.

٣ - أن تحتمله الآية.

(١) المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص: ٣١٣).

٤ - أن لا يُقَصَّر معنى الآية على هذا المحتمل الجديد، ويُترك ما ورد
عن السلف^(١).

وكل من يطلّع على كتب التفسير ويقارن بينها يجد أن الله سبحانه يفتح على
كثير من المفسرين المتأخرين والمعاصرين بما لم يذكره المفسرون المتقدمون.
قال ابن عاشور في مقدمة تفسيره: "الذين جمدوا على القول بأن تفسير
القرآن يجب أن لا يعدو ما هو مأثور فهم رموا هذه الكلمة على عواهنها، ولم
يضبطوا مرادهم من المأثور عمن يؤثر، ... وإن أرادوا بالمأثور ما كان مرويًا
قبل تدوين التفاسير الأول مثل ما يروى عن أصحاب ابن عباس وأصحاب ابن
مسعود، فقد أخذوا يفتحون الباب من شِقِّه، ويقربون ما بعد من الشُّقَّة، إذ لا
محيص لهم من الاعتراف بأن التابعين قالوا أقوالاً في معاني القرآن لم يسندوها،
ولا ادعوا أنها محذوفة الأسانيد، وقد اختلفت أقوالهم في معاني آيات كثيرة
اختلفاً ينبغي إنباءً واضحاً بأنهم إنما تأولوا تلك الآيات من أفهامهم، كما يعلمه
من له علم بأقوالهم، وهي ثابتة في تفسير الطبري ونظرائه، ... فلله در الذين لم
يحبسوا أنفسهم في تفسير القرآن على ما هو مأثور مثل الفراء وأبي عبيدة من
الأولين، والزجاج والرَّمَّاني ممن بعدهم، ثم الذين سلكوا طريقهم مثل

(١) لقاءات ملتقى أهل الحديث بالعلماء (١٣ / ٣٧، بترقيم الشاملة آليا).

الزمخشري وابن عطية" (١).

قلت: ومنهم أيضًا ابن تيمية، فله استنباطات وفوائد كثيرة لم يُسبق إليها كما هو ظاهر لمن يقرأ كلامه في التفسير، قال عنه تلميذه ابن عبد الهادي: "كتب على تفسير القرآن العظيم جملة كبيرة تشتمل على نفائس جليلة، ونكت دقيقة، ومعان لطيفة، وأوضح مواضع كثيرة أشكلت على خلق من المفسرين" (٢).

وقال الداوودي: "قال الذهبي في معجم شيوخه: برع ابن تيمية في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال، واستنبط منه أشياء لم يُسبق إليها" (٣).

ولابن القيم استنباطات ومعانٍ في التفسير لم يُسبق إليها، ومن ذلك كلامه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩١]، فقد أجاد فيها وأفاد بما لم يُسبق إليه، وقال: "لم نر أحدًا من المفسرين شفى في هذا الموضوع الغليل، ولا كشف حقيقة المعنى واللفظ" (٤).

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣٢، ٣٣).

(٢) طبقات علماء الحديث (٤/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٣) طبقات المفسرين (١/ ٤٨).

(٤) بدائع الفوائد (٢/ ١٤٦).

وفسر الشنقيطي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّا لَهُم مُّلكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

[ص: ١٠، ١١] بتفسير لم يسبق إليه، وقال أثناء كلامه: "الآية الكريمة يفهم

منها ما ذكرنا، ومعلوم أنها لم يفسرها بذلك أحد من العلماء، بل عبارات

المفسرين تدور على أن الجند المذكور الكفار الذين كذبوه ﷺ، وأنه ﷺ سوف

يهزمهم، وأن ذلك تحقق يوم بدر أو يوم فتح مكة، ولكن كتاب الله لا تزال تظهر

غرائبه، وعجائبه متجددة على مر الليالي والأيام، ففي كل حين تفهم منه أشياء

لم تكن مفهومة من قبل، ... كتاب الله تتجدد به العلوم والمعارف التي لم تكن

عند عامة الناس، ولا مانع من حمل الآية على ما حملها عليه المفسرون، وما

ذكرنا أيضًا أنه يفهم منها؛ لما تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتل

معاني كلها صحيحة، تعين حملها على الجميع" (١).

وبين الشنقيطي المثليين المضروبين في أول سورة البقرة وأوضحهما

بتفصيل لا تجده عند غيره من المفسرين، وهما المثلان المذكوران في قول

(١) أضواء البيان (٢/ ٢٥٨-٢٥٩).

الله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمًّا بَكْمٌ عُمًى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة: ١٧ - ١٩] ^(١).

وفسّر ابن عثيمين قصة النبي داود عليه السلام مع الخصمين بأن ذنب داود عليه السلام أنه اشتغل بالعبادة الخاصة عن الحكم بين الناس، فأغلق الباب دونهم، والحاكم بين الناس يجب أن يفتح لهم الباب حتى يختصموا إليه، ويحكم بينهم بالعدل، وأيضاً حكم للخصم دون أن يسمع حجة خصمه، فعلم عليه الصلاة والسلام أن الله اختبره بهذا فخر راکعاً وأُتاب تائباً إلى الله عز وجل، وتضمن تفسير ابن عثيمين وجهين لم يُنقل عن السلف، والوجه الأول تفرد به ابن عثيمين، ولا تجده عند غيره من المفسرين، والوجه الثاني ذكره

(١) يُنظر: أضواء البيان للشنقيطي (١/ ١٣-١٧).

بعض المفسرين المتأخرين، وضعفه مكّي بن أبي طالب، ورجحه الجزائري^(١)،
وتفسير ابن عثيمين هو ظاهر الآية من غير تكلف ولا تأثر بالإسرائيليات
المروية في هذه القصة، والله أعلم^(٢).

فلا مانع شرعاً ولا عقلاً أن يفوت السلف الصالح فهم آياتٍ يسيرة من
القرآن أو فهم أحاديث قليلةٍ من السنة النبوية لحكمة أرادها الله سبحانه، ثم يأتي
من بعدهم فيفهم تلك الآيات والأحاديث فهمًا صحيحًا بلا تكلف بسبب تقدم
العلم التجريبي أو لغير ذلك من الأسباب، ويكون ذلك من دلائل النبوة وإعجاز
القرآن والسنة، ويدخل ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا ۝﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ
عَلِيمٌ ۝﴾ [يوسف: ٧٦].

ولا يعني هذا أن الخلف أعلم من السلف بالقرآن والسنة وأمور الدين، بل
السلف أعلم وأحكم، واتباع سبيلهم أسلم، ومن سبيلهم التوقف عن القول بلا

(١) يُنظر: الهداية لمكي بن أبي طالب (١٠ / ٦٢٣٣)، أيسر التفاسير للجزائري (٤ / ٤٤٤).

(٢) يُنظر: فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٥ / ٢، بترقيم الشاملة آليا).

علم، وترك التكلف في العلم، والإيمان بأنه لا علم للإنسان إلا ما علّمه الله، ولا يصح أن نقول: إن السلف اجتمعوا على ضلالة إذا لم يعرفوا جميع وجوه معاني آية أو إذا أمسكوا عن القول فيما استأثر الله بعلمه، وقد لا يأذن الله للناس أن يعلموا شيئاً من معاني القرآن أو السنة في وقت، ثم يشاء أن يعلموه في وقت آخر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقد لا يشاء الله أن يعلم الناس شيئاً من كتابه تعجيزاً لهم، مثل قصة اليسع وذي الكفل عليهما السلام، فقد ذكرهما الله في كتابه من غير ذكر قصتهما، فقال: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨]، ومثل قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]، ومن فسّرها بشيء من الإسرائيليات فهو تفسيرٌ بالظن، فالإسرائيليات لا تُصدّق ولا تُكذّب^(١)، وقد فسّر أبو حيان الأندلسي والآلوسي والشنقيطي والألباني^(٢) الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان بحديث أبي

(١) يُنظر: موسوعة التفسير المأثور (١٩ / ٨٩ - ١٠٣).

(٢) يُنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (١٢ / ٦٢٩، ٩٨٥ - ٩٨٧)، فقد بيّن الألباني أن ما نُقل في تفسير هذه الآية عن السلف الصالح هو من

هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: ((قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لَا تُطَوِّنَ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تَسْعِ وَتَسْعِينَ كُلَّهُنَّ، يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ))^(١)، وهذا التفسير غير منقول عن أحد من السلف الصالح، وهو محتمل، ولا يمكن الجزم بأن الحديث تفسير للآية، وسواء صح هذا التفسير أو لم يصح فهو مثال واضح بأن السلف الصالح قد يفوتهم فهم بعض الآيات لحكمة أرادها الله سبحانه، وقد يظهر المعنى لبعض المتأخرين كما في هذا المثال على القول بصحة التفسير الذي ذكره بعض المتأخرين، وقد لا يظهر المعنى لأحد، تعجيزاً من الله لعباده كما في هذا المثال على القول بعدم صحة التفسير الذي ذكره بعض المتأخرين، وتكون الآية مما استأثر الله بعلمه، ولم يشأ أن يعلمه عباده، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (التفسير على أربعة أوجه: وجهٌ تعرفه العرب من كلامها، وتفسيرٌ لا يعذر أحد

الإسرائيليات، ونقل كلام أبي حيان والألوسي والشنقيطي في تفسير هذه الآية بالحديث المذكور.

(١) رواه البخاري (٢٨١٩) ومسلم (١٦٥٤).

بجهالته، وتفسيرٌ يعلمه العلماء، وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله^(١).

ولا يمكن أن يجتمع السلف الصالح على ضلالة، فهم على هدى من ربهم، وقد أمرنا الله باتباعهم، والإيمان كإيمانهم، ولو نقلوا بعض الإسرائيليات التي أجاز النبي عليه الصلاة والسلام لأئمة التحديث بها بلا تصديق لها ولا تكذيب فلا حرج عليهم^(٢)، ولو سكتوا عن تفسير آية أو حديث لم يظهر لهم المعنى أو أشكل عليهم في زمانهم فهذا لا يُنقص من قدرهم، ولو وقع من بعضهم خطأ في فهم آية أو في فهم حديث فلا يصح أن يقال: إنهم أجمعوا على ضلالة، فهم مأمورون أن يتدبروا القرآن بلا تكلف، وأن يكلوا ما أشكل عليهم إلى عالمه، وهذا من علمهم وفضلهم، ففي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: ((مَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَأَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٧٠ / ١)، ويُنظر: تفسير ابن كثير (١٤ / ١).

(٢) روى البخاري (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ))، وروى البخاري (٤٤٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُواهُمْ)).

عَالِمِهِ^(١)، وثبت عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: (كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ مَا اسْتَبَانَ لَكُمْ فَأَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ)^(٢)، وقال التابعي الجليل الربيع بن خثيم: (يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ فِيمَا عُلِّمْتَ، وَمَا اسْتُؤْثِرَ بِهِ عَلَيْكَ فَكِلْهُ إِلَى عَالِمِهِ، مَا كُلُّ مَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ أَذْرَكْتُمْ، وَلَا كُلُّ مَا تَقْرَأُونَ تَذَرُونَ مَا هُوَ)^(٣)، فالسلف الصالح لا تكلف في علمهم، فما ظهر لهم من معاني القرآن والسنة علموه وقالوا به، وما أشكل عليهم سكتوا عنه، وفوضوا علمه إلى عالمه، ولم يخوضوا فيه بلا علم، وقد يفسرون القرآن الكريم بما يظهر لهم، ويقع بينهم خلاف في تفسير بعض الآيات كما هو معلوم.

وقد نهى الله الصحابة أن يسألوا رسوله ﷺ عن أشياء ليس من المصلحة أن يُخبروا بها في عصر التنزيل فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ

(١) رواه أحمد بن حنبل في مسنده (٦٧٠٢) و (٦٧٤١).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٥٣٢١) وصححه الذهبي في تلخيص المستدرک.

(٣) رواه أحمد بن حنبل في الزهد (١٩٨٠) بإسنادٍ صحيحٍ.

أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [المائدة: ١٠١، ١٠٢]، وحين سألوا رسول الله ﷺ عن الأهله لم يجبههم الله عن نفس سؤالهم، وأجابهم بما ينفعهم العلم به فقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وأكتفي هنا بذكر مثالين اثنين من القرآن والسنة:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، ثبت في الحديث الصحيح عن مطرف بن عبد الله أن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال في هذه الآية: إنا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، لم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت^(١). وفي رواية الحسن البصري عن الزبير بن العوام قال: نزلت هذه الآية ونحن متوافرون مع رسول الله ﷺ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، فجعلنا نقول: ما هذه الفتنة؟ وما نشعر أنها تقع حيث وقعت!^(٢).

فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أو كثير منهم لم يكونوا يعلمون أنهم يدخلون في عموم هذه

(١) رواه أحمد في مسنده (١٤١٤) وقال الأرناؤوط: إسناده جيد.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٤٣٨) وصححه الأرناؤوط.

الآية حتى ظهر لهم ذلك في وقت الفتنة الكبرى بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (٣٥) للهجرة.

المثال الثاني: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ يَدًا)) قالت عائشة: فكن يتناولن أيتهن أطول يداً، فكانت أطولنا يداً زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق^(١).

فأمهات المؤمنين لم يفهمن معنى هذا الحديث إلا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بتسع سنين حين ماتت زينب بنت جحش رضي الله عنها سنة: (٢٠هـ)، والله أعلم. واعلم أن نقل إجماع المفسرين كثيرٌ منه صحيح، لا سيما ما هو ظاهر الآية والسياق، وبعضه فيه نظر، فقد يُنقل القول عن بعض المفسرين، ولا يُنقل عن غيرهم موافقة ولا مخالفة، فينسبه بعضهم قولاً لجمهور السلف أو يجعله بعضهم إجماعاً سكوتياً، وهذا توسع غير مُرضٍ، لا سيما إن كان هذا

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٤٥٢) بهذا اللفظ، وفي رواية البخاري (١٤٢٠) أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام أخذن قصبة يذرعنها لينظرن أطولهن يداً حقيقة، قالت عائشة: فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقاً به، وكانت تحب الصدقة.

القول ليس ظاهر الآية^(١).

قال صالح آل الشيخ: "الإجماع أن يكون كل من عُرف بالتفسير من التابعين نُقِلَ تفسيره للآية فاتفقوا عليه، نجد أن المنقول في الآية يُنقل عن واحد، اثنين، فقط، لا يسوغ أن نقول: إن البقية الذين لم يُنقل كلامهم متفقون معهم في ذلك، كذلك عدم ذكر الخلاف لا يعني الإجماع، بعض العلماء يسميه إجماعاً سكوتياً، وبعضهم يقول: لم يُعلم لهم مخالف فكان إجماعاً، هذه كلها فيها تجوُّز"^(٢).

ولا تجوز مخالفة السلف الصالح فيما ثبت إجماعهم عليه في التفسير؛ لأن إجماعهم حجة، ومخالفتهم ضلالة، ولا يمنع مجرد ورود قول عن بعضهم دون

(١) يُنظر على سبيل المثال: هل البحر انشق لموسى طريقاً واحداً أو اثني عشر طريقاً؟ ورسالة: هل قتل بنو إسرائيل أنفسهم بسبب عبادتهم العجل ليتوب الله عليهم؟ وهما رسالتان للمؤلف منشورتان في شبكة الألوكة. وللتوسع في هذا الباب يُنظر: الخطأ في نسبة الأقوال في كتب التفسير، للمؤلف، وهي رسالة ماجستير، منشورة أيضاً في شبكة الألوكة، والحمد لله على توفيقه.

(٢) شرح مقدمة التفسير - دروس صوتية، المكتبة الشاملة (١٢ / ٢١، بترقيم المكتبة الشاملة آليا).

ثبوت إجماعهم من إيراد قولٍ جديد في التفسير، إذا كان مما تحتمله وجوه الآية لغَةً وسياقًا بلا تكلف، ولم يعارض دليلًا شرعيًا صحيحًا، ولا يسوغ الحكم ببطلان القول الجديد بمجرد عدم نقله عن السلف، ما دام موافقًا لظاهر الآية وسياقها، ولا يخالف أصول الشريعة ومقاصدها.

وكلُّ عالمٍ ومفسرٍ يؤخذ من قوله ويترك وإن كان من الصحابة رضي الله عنهم، ومن استنبط ما لا يحتمله لفظ الآية، أو ما يخالف الأدلة الشرعية، فقله مردودٌ سواء كان من أهل السنة أو من أهل البدعة، ومن استنبط استنباطًا يحتمله لفظ الآية بلا تكلف، ولا يخالف القرآن الكريم والسنة الصحيحة فهو معنى مقبول وإن كان الذي استنبطه من أهل البدع^(١).

وما أكثر الاستنباطات الصحيحة والفوائد اللطيفة في بعض كتب المفسرين المتأخرين والمعاصرين!

وبهذا يُعلم أنه لا تعارض بين الأمر بتدبر القرآن الكريم وبين وجوب فهمه كما فهمه السلف الصالح، بل لا يستطيع الإنسان تدبر كثير من آيات القرآن حتى يرجع إلى كتب التفسير ليفهم المعنى المراد، وبعد فهم المعنى المراد يتم

(١) للتوسع في هذه المسألة يُنظر رسالتي: حكم المعاني التي تحتملها آيات القرآن ولم تُنقل عن السلف الصالح.

التدبر، وقد يفتح الله لبعض العباد وجوهاً من الاستنباط.

ومن المقرر عند العلماء أنه لا يجوز إعادة فهم النصوص الشرعية، وأن المفسرين من الصحابة والتابعين هم أعلم بالقرآن ممن جاء بعدهم^(١).

فمن جاء بقول يخالف القرآن أو السنة أو الإجماع أو أصول الشريعة فلا عبرة بقوله المحدث، قال ابن تيمية: "كل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين، ولم يسبقه إليه أحد منهم؛ فإنه يكون خطأ كما قال الإمام أحمد بن حنبل: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام"^(٢).

أما من كان قوله مبنياً على قواعد العلم الذي تكلم فيه، وهو متبع لمنهج العلماء في الاستدلال والاستنباط، فلا حرج عليه، وما يدريك لعل بعض العلماء السابقين يقول بقوله، أو قد يوافقه على قوله لو عُرِضَ عليه؟! فليس كلُّ عالم منقولةً أقواله كما تقدم، وقد يكون قول المتأخر مرجوحاً، ويكون الصواب ما قاله السلف، مثل ترجيح ابن تيمية وتبعه ابن القيم وابن كثير وغير واحد من المتأخرين والمعاصرين أن هذه الآيات: ﴿قَالَتِ أَمْرَأْتُ الْغَزِيِّ لَتَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/٩-١٢)، بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب (ص: ٥٧-٩٨)، بدعة إعادة فهم النص للمنجد (ص: ١٧-١٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢١/٢٩١).

أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ
بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَتَرَىٰ نَفْسِي إِلَّا النَّفْسَ
لَأَمَّارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ [يوسف: ٥١ - ٥٣]

كلها كلام امرأة العزيز، والقول المشهور عند السلف أن النبي يوسف عليه الصلاة
والسلام هو قائل: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَتَرَىٰ نَفْسِي إِلَّا النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥٢ ، ٥٣]، ولم يذكر ابن جرير ولا ابن أبي
حاتم غير هذا، إلى أن جاء الماوردي فذكر وجهًا آخر، وهو أنه قول امرأة العزيز،
ونصره ابن تيمية وغيره^(١)، والمتأمل في هذه الآيات يجد أن هذا القول لا يمكن أن
يكون قول امرأة العزيز، بل هو قول نبي كريم ذي علم وحكمة، ففيه أنوار النبوة
والحكمة والتعظيم لله سبحانه وتعالى بذكر بعض أسمائه الحسنی وأفعاله، وفيه
تواضع النبي يوسف عليه الصلاة والسلام، ويدل على هذا التعريض بامرأة العزيز
في ذكر أن الله لا يهدي كيد الخائنين، فهي التي أرادت خيانة زوجها، وهي التي
كادت يوسف مع النسوة، فنجاه الله من كيدهن، ثم كيف تقول امرأة العزيز: وما

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٨).

أبرئ نفسي، وهي التي أذنبت، وظهر لزوجها ذنبها، وأمرها أن تستغفر الله تعالى منه؟! وكيف تقول هذا وهي التي أظهرت للنسوة بلا حياء إرادتها الفاحشة من يوسف؟! وقد يُحذف في القرآن فعل القول أثناء حكاية قولٍ قبله، وله نظائر كما بين ذلك بعض أهل العلم^(١).

والمقصود أن التجديد في التفسير موجود في كتب المتأخرين، ومنه ما يُقبل، ومنه ما لا يُقبل، ومنه ما يختلف في قبوله العلماء أو يتوقف فيه بعضهم، ولا يعني التجديد في التفسير أن يخالف المتأخر الإجماع، أو يتكلم في العلم بالهوى والظنون والأوهام، فإن هذا ضلال مبين، وجهل عظيم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝﴾ [النساء: ١١٥]، وإنما المراد أن العالم المتأخر قد يفتح الله عليه بأشياء من العلم النافع الذي تدل عليه آيات القرآن والأحاديث النبوية فاتت المتقدمين، فيستنبط من القرآن الكريم والسنة الصحيحة ما لم يستنبطه من قبله، أو يظهر له دليل لم يستدل به من قبله، أو يظهر له

(١) يُنظر: تفسير السمعاني (٣/ ٣٨، ٣٩)، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٤٧)، ولي رسالة بعنوان: التحقيق في أن قائل: {ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب...} هو يوسف لا امرأة العزيز، وهي منشورة في موقعي الرسمي وفي ملتقى أهل التفسير.

ضعف قول راج على كثير ممن قبله، ونحو ذلك مما لا يخالف النصوص، ولا الإجماع الصحيح، مع الاعتراف بفضل علم السلف على علم الخلف.

وما أحسن ما قاله بكر أبو زيد: "احذر غلط القائل: ما ترك الأول للآخر، وصوابه: كم ترك الأول للآخر! فعليك بالاستكثار من ميراث النبي ﷺ، وابدل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق، ومهما بلغت في العلم فتذكر: كم ترك الأول للآخر!"^(١).

وقد تكلم علماء أصول الفقه على مسألة إحداث دليل لم يستدل به السابقون، ونص أكثرهم على جوازه، وهو المشهور عند أتباع المذاهب الأربعة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، ورجحه غير واحد من المعاصرين.

قال الجيزاني: "إحداث دليل لم يستدل به السابقون جائز؛ لأنَّ الاطلاع على جميع الأدلة ليس شرطاً في معرفة الحق، إذ يُمكن معرفة الحق بدليل واحد، وليس في إحداث دليل جديد نسبة الأمة إلى تضييع الحق"^(٢).

(١) حلية طالب العلم (ص: ١٧٤).

(٢) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص: ١٧٥). ويُنظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ٢٧٣)، الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب للباقر الحنفي (١/ ٥٧٨، ٥٧٩)، أصول الفقه لابن مفلح الحنبلي (٢/ ٤٤٣)، تحفة

وقال عبد الكريم النملة: "إذا اختلف الصحابة على قولين فإنه لا يجوز إحداث قول ثالث إن لزم منه رفع ما اتفقا عليه، وإن لم يلزم منه ذلك فإنه يجوز إحداث قول ثالث ويُعمل به. وإذا استدل علماء العصر بدليل أو تأولوا تأويلًا، فيجوز لمن بعدهم إحداث دليل أو تأويل آخر بشرط: أن لا يلزم من هذا الدليل أو التأويل القدح فيما أجمعوا عليه. ويجوز وجود خبر أو دليل راجح، واتفق علماء الأمة على عدم العلم به بشرط: أن يكون عمل علماء الأمة موافقًا لمقتضى ذلك الخبر أو الدليل؛ لأن علماء الأمة غير مكلفين بالعمل بما لم يظهر لهم، ولم يبلغهم، فاتفقهم واشتراكهم في عدم العلم لا يكون خطأ؛ لأن عدم العلم ليس من فعلهم، وذلك كعدم حكمهم في واقعة لم يحكموا فيها بشيء، فجاز لغيرهم أن يسعى في طلب ذلك الدليل أو الخبر ليُعلم. أما إن كان عمل علماء الأمة على خلاف الخبر أو الدليل فهذا محال بالاتفاق؛ لأنه يلزم

المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل للرهوني المالكي (٢/ ٢٨١، ٢٨٢)، البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٦/ ٥١٤)، التحبير شرح التحرير للمرداوي (٤/ ١٦٤٨)، مختصر التحرير شرح الكوكب المنير للفتوحي الحنبلي (٢/ ٢٦٩)، (٢٧٠)، تيسير التحرير لأمير باد شاه الحنفي (٣/ ٢٥٣)، إجابة السائل شرح بغية الآمل لابن الأمير الصنعاني (ص: ١٦٠، ١٦١)، المذهب في علم أصول الفقه المقارن لعبد الكريم النملة (٢/ ٩٢٨، ٩٢٩).

منه إجماع الأمة على الخطأ"^(١).

وكل من يقرأ في كتب التفاسير عبر العصور يجد عند بعض المفسرين المتأخرين والمعاصرين من استخراج بعض المعاني والاستنباطات والتحقيقات الموفقة ما لا يجده عند المتقدمين، والله يختص بفضله من يشاء، وفوق كل ذي علم عليم، وما أكثر ذلك في تفسير السعدي وابن عاشور وابن عثيمين!

والأمثلة على ما ذكره بعض المفسرين المتأخرين مما لا نجده منقولاً عن الصحابة والتابعين كثيرة، سبق بعضها، وأكتفي هنا بذكر ثلاثة أمثلة أختم بها هذا الفصل:

١ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأُسِّ شَدِيدٍ

(١) الجامع لمسائل أصول الفقه على المذهب الراجح (ص: ٣٢٦-٣٢٨) باختصار وتصرف يسير. ويُنظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ٢٦٨-٢٧٠)، الإيهاج في شرح المنهاج لابن السبكي (٢/ ٣٦٩)، التقرير والتحبير على تحرير الكمال بن الهمام لابن أمير حاج الحنفي (٣/ ١٠٦)، إجابة السائل شرح بغية الآمل لابن الأمير الصنعاني (ص: ١٥٩، ١٦٠)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (١/ ٢٢٩)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٢/ ٢٣٣، ٢٣٤)، مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (ص: ١٨٥، ١٨٦).

تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يُسَامُونَ^١ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا
كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ [الفتح: ١٦]، قال
الجصاص: "هو دليل على صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله
عنهم؛ لأن أبا بكر الصديق دعاهم إلى قتال بني حنيفة، ودعاهم عمر إلى
قتال فارس والروم، وقد ألزمهم الله اتباع طاعة من يدعوهم إليه بقوله:
﴿تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يُسَامُونَ^١ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا
كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح: ١٦]، فأوعدهم الله
تعالى على التخلف عن دعاهم إلى قتال هؤلاء"^(١)، وهذا الدليل لا نعلم
أحدًا من الصحابة والتابعين استدل به على صحة خلافة أبي بكر وعمر
وعثمان، وهو دليل واضح من القرآن على صحة خلافتهم، ووجوب
طاعتهم، والرد على الرافضة الذين ينكرون إمامتهم، وأقدم من رأيت
استدل به في هذه المسألة: الجاحظ المعتزلي (ت ٢٥٥ هـ) في كتابه
العثمانية^(٢)، وتتابع العلماء والمفسرون المتأخرون على الاستدلال بهذه

(١) أحكام القرآن (٣/ ٥٢٣).

(٢) العثمانية (ص: ١١٤). وقد سبقه مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ)، وهو من أتباع
التابعين، إلا أنه أشار إلى هذا الدليل إشارة مختصرة بلا تفصيل وجه الدلالة، قال

الآية على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم^(١)، وإن لم يُنقل عن أحد من الصحابة والتابعين أنهم استدلوا بهذه الآية على هذه المسألة، ولا يبعد أن بعض الصحابة والتابعين فهم هذا من هذه الآية، لكن لم يُنقل عنهم ذلك، كما تقدم بيانه.

٢- قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزْوَاجًا﴾ [الزمر: ٦]، المنقول في كتب التفسير القديمة أن المعنى: جعل لكم وخلق لكم^(٢)، وقال ابن تيمية: "لا حاجة إلى إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة؛ فإن الأنعام تنزل من بطون أمهاتها، ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها"^(٣)، وقال ابن

مقاتل في تفسير هذه الآية: "خلافة أبي بكر رضي الله عنه في هذه الآية مؤكدة"، ولم يزد على هذا، يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٧٣).

(١) يُنظر مثلاً: الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (ص: ٢٥٢ - ٢٥٥)، اعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي (ص: ٧٤، ٧٥)، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤ / ٨٩)، تفسير القرطبي (١٦ / ٢٧٢)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٨ / ٥١٠، ٥١١).

(٢) يُنظر مثلاً: تفسير ابن جرير (٢٠ / ١٦٢)، تفسير الماتريدي (٨ / ٦٥٩)، الوسيط للواحدي (٣ / ٥٧١)، زاد المسير لابن الجوزي (٤ / ٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ / ٢٥٤).

القيم: "الأنعام تُخلَق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ولهذا يُقال: أنزل ولم يُنزل، ثم الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض، ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها إنائها بالوطء، وينزل ماء الفحل من علو إلى رحم الأنثى، وتلقي ولدها عند الولادة من علو إلى أسفل"^(١).

٣- قوله تعالى عن أصحاب الأخدود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]، هذه الآية فيها إثبات عذاب القبر، فقد أخبرنا الله أن أصحاب الأخدود الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات لهم عذابان وليس عذاباً واحداً، فعذاب جهنم في الآخرة، وعذاب الحريق في قبورهم، وقدّم ذكر عذاب جهنم؛ لأنه أعظم وأدوم، ولا أعلم أحداً من المفسرين القدامى ذكر أن هذه الآية تدل على إثبات عذاب القبر، وهو دليل ظاهر، فتح الله عليّ به، وذكرته في رسالتي: عشرون دليلاً من القرآن الكريم على إثبات عذاب القبر ونعيمه، فالأصل في الواو المغايرة، فعذاب جهنم في الآخرة، وعذاب الحريق في

(١) مختصر الصواعق المرسلة للبعلي (ص: ٤٤٢).

البرزخ، ويدل عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ثم رأيت ابن عاشور ذكره في تفسيره^(١)،
والحمد لله على توفيقه.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/٢٤٧).

طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية

للعلماء رحمهم الله طرقٌ كثيرةٌ متنوعةٌ يسلكونها للوصول إلى الهدايات

القرآنية، منها:

١ - الاعتماد على دلالات الألفاظ المنطوقة والمفهومة واللازمة:

على المفسر أن يراعي ما دلت عليه ألفاظ آيات القرآن مطابقة، وما دخل في ضمنها، ويراعي لوازم تلك المعاني، وهذا يستدعي قوة فكر، وحسن تدبر، وصحة قصد، فمن أعظم الطرق النافعة في التفسير: أن يفهم المفسر ما دل عليه اللفظ من المعاني، ثم يفكر في الأمور التي تتوقف عليها، ولا تحصل بدونها، وما يشترط لها، وما يترتب عليها، وما يتفرع عنها، فتظهر بذلك للمتدبر هدايات قرآنية كثيرة، وعلوم نافعة، ومعارف جليلة، وأخلاق سامية، وآداب كريمة عالية، فإن القرآن الكريم حق، ولازم الحق حق، وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرع عن الحق فهو حق^(١).

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]،

استدل بهذه الآية بعض العلماء على وجوب خدمة المرأة زوجها؛ لأن الله سمي

(١) يُنظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي (ص: ٣٢).

الزوج سيِّداً، ومن حق السيد أن يُطاع ويُخَدَم^(١)، وبذلك تزيد المودة بين الزوجين، ويحصل التعاون بينهما على أعباء الحياة.

وقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكِ وَأُخْرُ﴾ [الكوثر: ٢]، النحر يكون للإبل، أما الذبح يكون للبقر والغنم، فيستفاد من تخصيص الله سبحانه النحر بالذكر في هذه الآية تفضيل نحر الإبل لكونها أكثر لحماً من البقر والغنم.

وقوله سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُونُونَ﴾ [المطففين: ١٥] يُفهم من هذه الآية أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، ولا يحجبون من ربهم كالكافرين.

وقوله سبحانه: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُمِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، الأمر بطاعة الله أمر باتباع القرآن الكريم، والأمر بطاعة الرسول أمر باتباع السنة النبوية^(٢)، ويلزم من الأمر بطاعة الله أن يحفظ الله القرآن الكريم ليتمكن المسلمون من طاعة الله سبحانه، ويلزم من الأمر بطاعة الرسول أن يحفظ الله سنة نبيه ليتمكن

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٤ / ٩٠).

(٢) يُنظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢ / ٩)، تفسير الخازن (١ / ٢٩٦).

المسلمون من طاعة النبي ﷺ، ففي هذه الآية ونحوها بشارة بحفظ الله لكتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

٢ - النظر في اختلاف القراءات ومعانيها:

القراءات المتواترة كلها صحيحة، وكلها قرآن أنزله الله على رسوله محمد ﷺ، والخلاف فيها إنما هو خلاف تنوع، وليس خلاف تضاد وتناقض، فمن الطرق المهمة لاستنباط الهدايات القرآنية النظر في اختلاف القراءات وتدبر معانيها^(١).

وكل قراءة صحيحة تدل على معنى فهي مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، وكل المعاني التي تدل عليها القراءات الثابتة حق^(٢).

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة: ١٠)، هكذا قرأها الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وقرأها نافع المدني وابن كثير المكي وأبو عمرو البصري وابن عامر الدمشقي وأبو

(١) يُنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١/ ١٤٩).

(٢) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٣٩١)، النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ٤٩).

جعفر المدني ويعقوب البصري ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٠﴾ بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال^(١)، فنستفيد من القراءة الأولى أن من صفات المنافقين أنهم يَكْذِبُونَ، ونستفيد من القراءة الثانية أن من صفات المنافقين أنهم يُكْذِبُونَ بالحق، ولا يصدقونه، فعلى المسلم أن يتجنب الكذب ويحرص على الصدق في أقواله، وعليه أن يحرص على أن يُصدّق بالحق، ويحذر من تكذيبه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾ [التكوير: ٢٤]، قال ابن تيمية: "فيها قراءتان، فمن قرأ: {بِظَنِينٍ} أي: ما هو بمتهم على الغيب، بل هو صادق أمين فيما يخبر به. ومن قرأ: ﴿بِضَنِينٍ﴾ أي: ما هو ببخيل لا يبذله إلا بعوض كالذين يطلبون العوض على ما يعلمونه، فوصفه بأنه يقول الحق فلا يكذب، ولا يكتُم"^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ [البروج: ١٥]، قال أبو منصور الأزهري: "قرأ حمزة والكسائي: ﴿الْمَجِيدُ﴾ خفضاً، وقرأ الباقون: ﴿الْمَجِيدُ﴾ رفعاً. قال أبو منصور: من قرأ بالخفض، جعله نعتاً للعرش. و(المجيد) الكريم

(١) يُنظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢ / ٢٠٧، ٢٠٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦ / ٣١٥).

الشريف. ومن قرأ بالرفع جعله نعتاً لله ذي العرش" (١).

٣- جمع نصوص الكتاب والسنة وتدبرها:

إن تحقيق الفهم في جميع مسائل العلوم الشرعية يكون بجمع النصوص، وتحليلها، واستنباط الهدايات القرآنية لا يخرج عن هذا الأصل، فعلى من يفسر القرآن الكريم ويستنبط الهدايات القرآنية أن يستحضر النصوص الأخرى من القرآن الكريم أو السنة النبوية، حتى لا يستخرج معنى يخالف النصوص الشرعية، وهو يظنه معنى صحيحاً أو هداية مستنبطة (٢).

مثال ذلك: ما ذكره أبو الفيض أحمد الغماري في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿١﴾ [الزلزلة: ١، ٢] قال: "أخرجت ملايين الأطنان من البترول والغاز، وهو أعظم ثقل فيها، عندما زلزلت أي: حركت بالآلات، وفتح فيها آبار البترول والغاز" (٣)، وهذا تفسير خاطئ، يتبين خطؤه عند النظر في النصوص الأخرى التي تبين المراد في هذه السورة، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا

(١) معاني القراءات (٣/ ١٣٦). ويُنظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٩).

(٢) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٢/ ٥١٥).

(٣) يُنظر: مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية (ص: ٢٧).

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ [الحج: ١]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٢﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٣﴾﴾ [الانشقاق: ٣، ٤]، وقوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ [العاديات: ٩]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤٤]، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((يُنْزَلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ))^(١)، فالمراد بالآية: زلزلة الأرض يوم القيامة، وتخرج الأرض أثقالها، وهم الموتى حين يخرجون من قبورهم للحساب والجزاء^(٢).

ومثال التفسير الصحيح المقبول بالنظر في مجموع أدلة الكتاب والسنة:

قوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، قال ابن جزي: "﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] أي: مدة حملة ورضاعه ثلاثون شهرا، وهذا لا يكون إلا بأن

(١) رواه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) يُنظر: التفسير المحرر (٤٤ / ١٣٢، ١٣٣).

ينقص من أحد الطرفين، وذلك إما أن يكون مدة الحمل ستة أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر، ومن هذا أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه والعلماء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر^(١).

وقوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ))^(٢)، وعن الحسن البصري رحمه الله قال في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: "الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة"^(٣).

فبالنظر في مجموع هذه الأدلة نفهم أن معنى الكتاب القرآن الكريم، والحكمة السنة النبوية، وأن القرآن الكريم سيبقى محفوظاً حتى ينزل عيسى في

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٧٦). ويُنظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٠).

(٢) رواه البخاري (٢٢٢٢) ومسلم (١٥٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٥٣، ٦٥٤).

آخر الزمان، وكذلك السنة النبوية تبقى محفوظة إلى يوم القيامة؛ لأنها الميمنة للقرآن الكريم، فيُعَلِّمُ الله سبحانه عيسى عليه الصلاة والسلام القرآن والسنة؛ ليحكم بين الناس بالإسلام.

وهذه إحدى الآيات الثلاث الدالة على نزول عيسى في آخر الزمان.
والآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، قال القرطبي: "المعنى ليؤمنن به من كان حيًّا حين نزوله يوم القيامة، قاله قتادة وابن زيد وغيرهما واختاره الطبري. وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] قال: قبل موت عيسى، والله إنه لحي عند الله الآن، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون، ونحوه عن الضحاك وسعيد بن جبير" (١).

والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلُّ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١]، قال المفسرون: أي: إن عيسى

(١) تفسير القرطبي (٦ / ١١).

من علامات الساعة^(١)، وصحت الأحاديث في نزوله في آخر الزمان، وأنه يقتل الدجال، ومعلوم أن الله رفع عيسى عليه الصلاة والسلام إلى السماء ونجاه من اليهود الذين أرادوا قتله كما قال سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۖ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]، وقال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]، قال ابن جرير الطبري: "معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((يُنْزَلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُقْتَلُ الدَّجَالَ))"^(٢).

٤ - النظر في سياق الآيات:

من أهم الطرق لمعرفة معاني الآيات واستنباط الهدايات القرآنية: النظر في سياق الآيات، فسياق الكلام يدل على مراد المتكلم.

قال ابن تيمية: "فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف

(١) يُنظر: التفسير المحرر (٣٢/ ٢٢٣ - ٢٢٥).

(٢) تفسير ابن جرير (٥/ ٤٥١).

مقصود القرآن: تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج. وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه، فهذا منشأ الغلط من الغالطين؛ لا سيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية؛ فإن هؤلاء أكثر غلطاً من المفسرين المشهورين؛ فإنهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرون^(١).

وقال ابن القيم: "السياق يُرشد إلى تبين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"^(٢).

والسياق يختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، فالخبر يشتمل على جُمْلٍ بعضها متعلق ببعض؛ لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا بد للمتدبر من رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وبذلك يحصل مقصود الشرع في فهم المكلف، فإن فرَّق الإنسان نظره في أجزاء الكلام، دون ربطٍ لأوله

(١) مجموع الفتاوى (٩٤/١٥).

(٢) بدائع الفوائد (٩/٤).

مع آخره، ولا تأمل في سياقه، فإنه لا يتوصل إلى مراد المتكلم^(١).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^ط

مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ [المجادلة: ٧]، سياق الآية يدل على أن معنى قوله

تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] أي: بعلمه، فقد بدأ الله سبحانه الآية بالعلم، وختمها بالعلم^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى^ط وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [الأحزاب: ٣٣، ٣٤]، فسياق الآيات في مخاطبة أزواج النبي ﷺ، فدل

(١) يُنظر: الموافقات للشاطبي (٢٦٦/٤).

(٢) يُنظر: محاسن التأويل للقاسمي (٩/ ١٤٠)، التفسير المحرر (٣٧/ ٢٨٠، ٢٨١).

على أن أزواجه من أهل بيته بدلالة السياق^(١).

ومثال خطأ بعض الغالطين بسبب عدم اعتبار السياق قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ١ - ٦]، فسر أبو الفيض أحمد الغماري قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٥] بأن المراد جمع الوحوش في حدائق الحيوانات في هذا الزمان^(٢)، وهذا خطأ في التفسير وتكلف، فسياق الآيات يدل على أن هذه الأمور تكون يوم القيامة، ومنها حشر الوحوش، وقد أخبر الله أنه يحشر يوم القيامة كل الحيوانات والطيور والحشرات؛ ليري الناس كمال قدرته بحشر جميع خلقه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَلِكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ

(١) يُنظر: الكشف للزمخشري (٣ / ١٣٥)، تفسير ابن كثير (٦ / ٤١٠)، أضواء البيان

للسنقيطي (٦ / ٢٣٧).

(٢) يُنظر: مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية (ص: ٢٣).

عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ [الشورى: ٢٩].

٥ - الاعتماد على أصول الشريعة:

من الطرق المهمة لمعرفة معاني القرآن الكريم واستنباط الهدايات القرآنية الاعتماد على أصول الشريعة، والمراد بأصول الشريعة: العقائد الإيمانية، والأدلة الكلية من القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس، ومقاصد الشريعة، وهي حفظ الضرورات الخمس: الدين والنفس والعقل والمال والعرض، والقواعد الكبرى مثل: الأمور بمقاصدها، والضرر يزال، والمشقة تجلب التيسير، واليقين لا يزول بالشك، والعادة محكمة^(١).

مثال ذلك ما ذكره بعض المفسرين المتأخرين من الأدب مع الله سبحانه في الألفاظ، استنباطاً من قوله عز وجل: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، وقوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْلُكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، ونحوها من الآيات، قال الشاطبي: "لم يقل: بيدك الخير

(١) يُنظر: طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها دراسة تأصيلية تطبيقية لطله عابدين (ص: ٢٤٣ - ٢٤٦).

والشر، وإن كان قد ذكر القسمين معاً، لأن نزع الملك والإذلال بالنسبة إلى من لحق ذلك به شر ظاهر، نعم قال في أثره: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦) [آل عمران: ٢٦] تنبيهاً في الجملة على أن الجميع خلقه، حتى جاء في الحديث عن النبي ﷺ: ((وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ))^(١)، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) [الشعراء: ٧٨ - ٨٠] الخ، فنسب إلى رب العالمين الخلق، والهداية، والإطعام، والسقي، والشفاء، والإماتة، والإحياء، وغفران الخطيئة، دون ما جاء في أثناء ذلك من المرض، فإنه سكت عن نسبته إليه^(٢)، وقال القرطبي: "أضاف عيب السفينة إلى نفسه رعاية للأدب لأنها لفظة عيب فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تعالى، وأسند إلى نفسه المرض، إذ هو معنى نقص ومصيبة، فلا يضاف إليه سبحانه وتعالى من

(١) رواه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) الموافقات (٢/ ١٦٦، ١٦٧).

الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح" (١).

مثال آخر: من أصول الشريعة الإيمان بالقدر خيره وشره، ويذكر علماء أهل السنة أن الإنسان مسير ومخير في نفس الوقت، ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة من القرآن والسنة، منها قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيرَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، حيث أثبت الله تعالى للإنسان مشيئة لكنها تحت مشيئة الله سبحانه، وقد وجدت دليلاً آخر يدل على أن الإنسان مسير ومخير، وهو قوله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ [الشمس: ٧، ٨] حيث ذكر الله أنه هو الذي ألهم النفس فجورها وتقواها، فهو الذي قدر ذلك قبل أن يخلقها، ومع هذا نسب الفجور والتقوى للعبد، فالإنسان هو الذي فجر أو اتقى، فالدليل على أنه مسير قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ [الشمس: ٨]، والدليل على أنه مخير قوله: ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ [الشمس: ٨]، ففعل العبد يُنسب إلى الله خلقاً وتقديراً، ويُنسب إلى العبد فعلاً واختياراً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ

(١) تفسير القرطبي (١١ / ٣٩).

فَأَسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴿٨٣﴾ [التوبة: ٨٣] أي: فإن أرجعك الله - يا رسول الله - من غزوة تبوك إلى جماعة من المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد معك بلا عذر فاستأذنوك للخروج معك للجهاد في غزوة أخرى فقل لهم عقوبة لهم: لن تصحبوني أبدًا في أي سفر للجهاد ولا غيره كالحج ولن تقاتلوا معي عدوًّا من الأعداء أبدًا^(١)، ومعلوم أن هذه الآية في سورة التوبة نزلت سنة ٩ للهجرة في غزوة تبوك، ثم حج النبي عليه الصلاة والسلام حجة الوداع في سنة ١٠ للهجرة، وحج معه عشرات الآلاف من الصحابة رضوان الله عليهم، فيُستنبط من ذلك: أن كل من صحب النبي ﷺ في حجة الوداع فهو بريء من النفاق، فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يخبر المنافقين بعدم تشرفهم بصحبة النبي ﷺ بعد رجوعه من غزوة تبوك في أي سفر من أسفاره أبدًا، فالله أخبر أنه قضى وقدر أن المنافقين لن يخرجوا مع رسوله أبدًا في أي سفر من أسفاره بعد رجوعه من غزوة تبوك، سواء سفر جهاد أو حج، فأمر الله تبارك وتعالى نبيه أن يقول للمنافقين: ﴿لَّنْ تَخْرُجُوا

(١) يُنظر: التفسير المحرر (٧/ ٤٥١ - ٤٥٢).

مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴿التوبة: ٨٣﴾ ، فكل من صحب النبي في سفره بعد نزول هذه الآية فهو بريء من النفاق، وكل من يتهم أصحاب النبي بالنفاق مع صحبتهم له في سفره في حجة الوداع فهو مكذب بالقرآن، فتح الله عليّ بهذا الاستدلال، وهو موافق لأصول الشريعة، فمن الإيمان حب الصحابة رضي الله عنهم^(١).

٦ - استحضار حِكَم الشريعة ومقاصدها:

معرفة حِكَم الشريعة ومقاصدها تُسهِّل لمن يتدبر القرآن والسنة ويتفقه في الدين معرفة غايات الأحكام الشريعة، وما تهدي إليه، وما تدل عليه النصوص من تحقيق مصالح العباد في الدارين، وبه تتم معرفة حكمة التشريع في العبادات والمعاملات والأنكحة، وفي كل جزئية من جزئيات الشريعة، وأحكامها التفصيلية.

فَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْهَدَايَاتِ الْقُرْآنِيَةِ اسْتِحْضَارُ الْغَايَاتِ الَّتِي لِأَجْلِهَا شُرِعَتِ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْأَحْكَامَ

(١) يُنْظَرُ: ١٠٠ آية في فضل الصحابة، والرد على من يصف الصحابة بالنفاق، كلاهما بقلمي، وهما منشوران بحمد الله في شبكة الألوكة.

الشرعية إنما شُرِعت لتحقيق مقاصد سامية، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، فينبغي على المجتهد تحرّي هذه المقاصد في ممارسته الاجتهاد والإفتاء على مقتضى ما يوافقها ويخدمها^(١).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، قال الرازي: "الحكمة في إثبات حق الرجعة أن الإنسان ما دام يكون مع صاحبه لا يدري أنه هل تشق عليه مفارقتها أو لا؟ فإذا فارقه فعند ذلك يظهر، فلو جعل الله الطلقة الواحدة مانعة من الرجوع لعظمت المشقة على الإنسان بتقدير أن تظهر المحبة بعد المفارقة، ثم لما كان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة، فلا جرم أثبت تعالى حق المراجعة بعد المفارقة مرتين، وعند ذلك قد جرب الإنسان نفسه في تلك المفارقة وعرف حال قلبه في ذلك الباب، فإن كان الأصلح إمساكها راجعها وأمسكها بالمعروف، وإن كان الأصلح له تسريحها سرحها على أحسن الوجوه وهذا

(١) يُنظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (٣/ ٣٥)، طرق الكشف عن مقاصد الشارع لجغيم (ص: ٧).

التدريج والترتيب يدل على كمال رحمته ورأفته بعده" (١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ

ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، فبداية تزكية النفس تكون بغض الأبصار، وحفظ

الفروج، ومن أعظم أسباب مرض القلب بالشهوات المحرمة: إطلاق النظر

الحرام، وفي إطلاق النظر إلى المحرمات مفسد كثيرة، ويرى بعينه ما لا يقدر

عليه على غير ما هو عليه، فتكثر حسراته، ويتشوش تفكيره، وتسوء أعماله

وأخلاقه، وفي غض البصر منافع عظيمة دينية ودنيوية (٢).

٧- الاستفادة من أوجه الإعراب:

إعراب القرآن الكريم أصل في الشريعة؛ فبه تُقَوِّم معاني الكتاب والسنة التي

هي الشرع، وبالإعراب يتوصل المفسر إلى استخراج المعاني الظاهرة

والمستنبطة من القرآن الكريم، ويطلع على كثير من الفوائد واللطائف القرآنية

(١) التفسير الكبير (٦ / ٤٤٤).

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي (١٢ / ٢٢٣)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥ / ٣٦٩)،

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (ص: ١٧٨ - ١٨٠).

التي لا يستطيعها من كان جاهلاً بالنحو والإعراب^(١).

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ﴿١٧﴾ [عبس: ١٧]، فيها

وجهان مشهوران في الإعراب:

الأول: أن تكون (ما) تعجبية، أي: ما أشد كفر الإنسان!

الثاني: أن تكون (ما) استفهامية للإنكار يعني: أي شيء حمل الإنسان

على الكفر؟!^(٢).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ [آل عمران:

١٠٤] قال ابن جزي: "الآية: دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

واجب، وقوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ دليل على أنه فرض كفاية؛ لأن من للتبعض، وقيل:

إنها لبيان الجنس، وأن المعنى: كونوا أمة، وتغيير المنكر يكون باليد وباللسان

(١) يُنظر: المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (ص: ١٩)، المحرر الوجيز لابن عطية

(١ / ٤٠)، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (١ / ١١).

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي (١٩ / ٢١٨).

وبالقلب، على حسب الأحوال" (١).

وقول الله تبارك وتعالى في آية الوضوء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، على قراءة: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب تكون معطوفة على قوله: ﴿وُجُوهَكُمْ﴾، فيجب غسل الرجلين، وعلى قراءة: {وَأَرْجُلَكُمْ} بالجر تكون معطوفة على قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، ويكون المراد بها المسح الخفين، أما مسح الرجلين فقط فلا يجوز (٢)، وقد ثبت أن النبي ﷺ أنكر على بعض الصحابة حين مسحوا أرجلهم بالماء، وقال: ((وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ)) (٣).

٨- معرفة أسباب النزول:

قال السيوطي مبيناً فوائد أسباب النزول: "ومنها: الوقوف على المعنى،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ١٦١). ويُنظر: تفسير القرطبي (٤ / ١٦٥).

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير (٣ / ٥١ - ٥٥)، فتح القدير للشوكاني (٢ / ٢٢).

(٣) رواه البخاري (٦٠) ومسلم (٢٤١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وإزالة الإشكال، قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها. وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية^(١).

مثال ذلك: عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا، لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار، فدخل من قبل بابه، فكأنه عير بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۖ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]^(٢)، ويُستنبط من الآية بعد معرفة سبب نزولها: أن التشدد في الإحرام وغيره مما لم تأت به الشريعة لا يشرع، وليس من البر، ومن تقوى الله الاستقامة على شرع الله سبحانه، وعدم التكلف^(٣).

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كانت المرأة

(١) الإتيان في علوم القرآن (١/١٠٨).

(٢) رواه البخاري (١٨٠٣) ومسلم (٣٠٢٦).

(٣) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٥/ ٢٨٥).

تكون مِقلاتاً^(١) فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوِّده، فلما أُجليت بنو
النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل:
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ^(٢).

٩- معرفة الواقع حال نزول القرآن:

مما يُعين متدبر القرآن على استخراج هداياته: معرفة واقع نزول الآيات،
من حيث المكان، والزمان، وحال الخوف أو الأمن، والقوة أو الضعف،
والمقصود بحال نزول القرآن: ما هو أعم من السبب الخاص، فهو يشمل
أسباب نزول القرآن وغيرها^(٣).

وقد ذم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الخوارج حين جعلوا الآيات التي
أنزلت في الكفار على المؤمنين، فكان يراهم شرار خلق الله، وقال: (إنهم انطلقوا

(١) المِقلات التي لا يعيش لها ولد قاله أبو داود بعد روايته لهذا الحديث. يُنظر: سنن أبي
داود (٣/ ٥٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٦٨٢) وصححه الألباني.

(٣) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٢/ ٥٢٦).

إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين^(١).

وما ذكره ابن عمر مثال واضح يتبين به معنى الرأي المذموم الناشئ عن الجهل بالواقع الذي نزل فيه القرآن^(٢).

ومثال أهمية معرفة الواقع حين نزول الآيات: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فسورة الأنعام مكية، وهذه الآية نزلت فيها قبل الهجرة، ثم هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ونزلت عليه آيات تحريم الخمر، وأوحى الله إليه تحريم الحمر الأهلية، وتحريم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، فمن لا يعلم أن الآية مكية قد يظن أنه لا يحرم من المطعومات إلا ما ذكره الله في هذه الآية، وهذا ضلال مبين.

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم في صحيحه (١٦/٩)، ويُنظر: فتح الباري لابن حجر (٢٨٦/١٢).

(٢) يُنظر: مدارج السالكين لابن القيم (١/٣٥١، ٣٥٢)، الموافقات للشاطبي (٤/١٤٩).

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَآئِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]، فهذه الصفة وغيرها من صفات صلاة الخوف جماعة مناسبة لحال المسلمين في عصر التنزيل، وفيها أخذ الحذر من الكفار، أما في زماننا فلا يناسب المجاهدين أن يصلوا جماعة في القتال فيستهدفهم العدو بسهولة، ويشخن فيهم حال تجمعهم.

١٠ - ربط الآيات بالواقع المعاصر:

هدايات القرآن لا تنقضي، وعجائبه لا تنتهي، فهو قرآن مجيد واسع المعاني، فلا تنزل بالمسلم نازلة إلا وفي كتاب الله بيان الهدى فيها، علم ذلك من علمه، وجهله من جهله.

قال الشافعي: "فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها"^(١).

وقال ابن باديس: "إن القرآن كتاب الدهر ومعجزته الخالدة، فلا يستقل

(١) الرسالة (ص: ١٩).

بتفسيره إلا الزمن" (١).

وأكثر الناس غافلون عن دخول الواقع الذي يشاهدونه تحت آيات القرآن الكريم، ويظنون آيات القرآن في قوم قد خلوا من قبل، وهذا هو الذي يحول بين الناس وبين فهم القرآن والانتفاع به في جميع الأمور الخاصة والعامة، وإلا فمن تدبر آيات القرآن، ونزلها على واقعه تبين له كل ما يحتاج إليه في أمور دينه ودنياه (٢).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠] قال القرطبي: "أي: إن الدنيا دار بلاء وامتحان، فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر، فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني. ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه، فالغني ممتحن بالفقير، عليه أن يواسيه ولا يسخر منه. والفقير ممتحن بالغني، عليه ألا يحسده، ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق، ... ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠] محذوف الجواب، يعني أم لا تصبرون؟ فيقتضي جواباً كما قاله المزني، وقد أخرجته

(١) تفسير ابن باديس (ص: ٣٧٧).

(٢) يُنظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ١٦١).

الفاقة فرأى خصيًّا في مراكب ومناكب، فخطر بباله شيء، فسمع من يقرأ الآية: ﴿اتَّصِرُوا﴾ [الفرقان: ٢٠]، فقال: بلى ربنا نصبر ونحتسب. وقد تلا ابن القاسم صاحب مالك هذه الآية حين رأى أشهب بن عبد العزيز في مملكته عابراً عليه، ثم أجاب نفسه بقوله: سنصبر^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فيُنزل المفسر هذه الآية بحسب الواقع المعاصر، فيذكر أهمية تحصيل القوة العسكرية بجميع أنواعها الحديثة من رشاشات ومدافع ودبابات وصواريخ وطائرات حربية وطائرات المسيرة، وتحصيل القوة الاقتصادية، والقوة الإعلامية، والقوة التكنولوجية والتقنية، وغير ذلك مما صار من أسباب النصر في هذا الزمان^(٢).

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، فيعدد المفسر المعاصر أنواعاً من النعم التي لم تكن موجودة من قبل، ويغفل كثير من الناس عن شكر الله تبارك وتعالى عليها، كنعمة الاتصالات، ونعمة الكهرباء، ونعمة الكمبيوترات، ونعمة المواصلات الحديثة من سيارات

(١) تفسير القرطبي (١٣ / ١٨).

(٢) يُنظر: محاسن التأويل للقاسمي (٥ / ٣١٦).

وقطارات وطائرات، ونحو ذلك.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً

وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨]، فيذكر المفسر المعاصر أنواع

المواصلات التي يسرها الله في العصور المتأخرة مما لم يكن موجوداً من قبل،

من أنواع الدراجات والسيارات والقطارات والطائرات ونحو ذلك.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا

بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤]، فيوضح الذي يتكلم عن هدايات هذه الآية صور البغي

الكثيرة في هذه الأمة، حتى بين بعض علمائها وفضلائها، وأن البغي من أعظم

أسباب التفرق والاختلاف، وأن الواجب العدل والإنصاف حتى مع المخالف،

وما أقل الإنصاف!

١١ - التأمل في تناسب السور والآيات:

قال الإمام مالك بن أنس: "إنما أُلِّفَ القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة

النبي ﷺ" ^(١)، فالظاهر أن جميع سور القرآن كُتِبَتْ في المصحف العثماني على

(١) رواه الداني في البيان في عد آي القرآن (ص: ٣٩).

الترتيب الذي كان يسمعه الصحابة من الرسول ﷺ، وعلى ترتيب العرضة الأخيرة التي قرأها النبي عليه الصلاة والسلام على جبريل، وهذا من حفظ الله لكتابه، أن جعله بأيدينا على الترتيب الذي رضىه، والله أعلم.

وقد أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي، واختلفوا في ترتيب السور في المصحف هل هو توقيفي أو اجتهادي؟ فذهب كثير من العلماء المحققين إلى أن ترتيب السور توقيفي، وأن الصحابة كتبوا السور في المصحف العثماني على الترتيب الذي كانوا يسمعون من النبي ﷺ، واستثنى بعض العلماء سورتي الأنفال والتوبة، وذهب بعض العلماء إلى أن ترتيب أغلب سور القرآن كُتبت في المصحف توقيفًا إلا بعض السور فبالاجتهاد^(١).

والتأمل في تناسب السور مع ما قبلها وما بعدها، وتناسب الآيات مع بعضها؛ باب عظيم لاستنباط الهدايات القرآنية، قال مسلم بن يسار: (إذا حُدِّثَ عن الله حديثًا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده)^(٢).

(١) يُنظر: شرح السنة للبغوي (٤/٥٢١، ٥٢٢)، أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (ص: ٤١-٤٨)، المحرر في علوم القرآن للطيار (ص: ١٩٧-٢٠٤).

(٢) رواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٣٧٧).

وهذه أمثلة من عجائب مناسبات ترتيب سور القرآن الكريم:

تأمل آخر سورة الطور ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]

وبعدها أول سورة النجم: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١].

وفي آخر سورة النجم يقول: ﴿أَزِفَتِ الْأَزْفَةُ﴾ [النجم: ٥٧] لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ

كَاشِفَةٌ ﴿[النجم: ٥٨، ٥٧] أي: اقتربت القيامة الذي من أسمائها

الآزفة، أي: القريبة، ثم قال سبحانه في أول سورة القمر: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأُنْشِقَ

القَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وفي سورة القمر كرر الله فيها العدد واحد أكثر من مرة، كقوله تعالى:

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا﴾ [القمر: ٢٤] ، وقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ

كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، وفي سورة الرحمن التي تلي سورة القمر

غالب آياتها يذكر الله فيها شيئين اثنين، مثل: الشمس والقمر، والنجم والشجر،

والسما والأرض، وكرر فيها مخاطبة الإنس والجن بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] ، وذكر فيها المشرقين والمغربين، والبحرين،

وأنه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، وأنه ذو الجلال والإكرام، وقال: ﴿وَلَمَن

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ووصف الجنيتين بأوصاف

كثيرة فيها تثنية، كقوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]، وقوله: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَلَكَهَةِ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢]، وقوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦]، وفي سورة الواقعة التي تلي سورة الرحمن قال الله في أولها: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧]، فذكر العدد ثلاثة، وذكر جزاء السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، ثم ذكر هؤلاء الأصناف الثلاثة في آخر سورة الواقعة!

وقال في آخر سورة الواقعة يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦]، ثم قال في أول سورة الحديد التي تليها: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١].

وبيّن الله سبحانه في أربع سور متتالية كتابة الأعمال في الصحف، في سورة التكوير والانفطار والمطففين والانشقاق.

فذكر في سورة التكوير أن أعمال الإنسان في صُحُف، تُجمع في كتاب واحد، وتُنشر له يوم القيامة: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، وأخبر في سورة الانفطار أن جميع أعمال الإنسان تُعلم سواء ما قدمها في حياته، أو ما استمرت بعد موته من خير كصدقة جارية أو شر كضلالة يعمل بها من بعده فقال: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، وقال في هذه السورة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

لِحَفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٤]، ثم بين في سورة المطففين أنه إذا مات الإنسان فإن كان من الفُجَّار فإن كتاب أعماله يُحَفَظُ في سِجِّين، وهو موضع ضيق في الأرض السابعة، وإن كان من الأبرار فإن كتاب أعماله يُحَفَظُ في عِلِّيِّين في السماء السابعة، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطففين: ٧]، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين: ١٨]، و(كتاب) نكرة مضافة إلى معرفة تعم جميع الكتب، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فنعمة الله تعم جميع النعم، ثم ذكر الله في سورة الانشقاق أن المؤمن يُعْطَى كتابه بيمينه فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾﴾ [الانشقاق: ٧]، والكافر والفاجر يُعْطَى كتابه وراء ظهره، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾﴾ [الانشقاق: ١٠]، فهذه نماذج من لطائف مناسبات ترتيب سور القرآن الكريم.

قال الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"^(١).

(١) التفسير الكبير (١٠/ ١١٠).

وقال ولي الدين الملوي: "قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المفارقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سورته كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقّت له" (١).

والكتب كثيرة في بيان مناسبات السور وآيات كل سورة، ومن أشهرها: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، وهو كتاب كبير مطبوع في (٢٢) مجلداً، وتناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي، ولمحمد دارز كتاب النبأ العظيم، اعتنى فيه بإبراز تناسب آيات سورة البقرة، وأتى فيه بفوائد عظيمة لم يُسبق إليها، وأثبت بالحجة والبرهان أن السورة الواحدة من القرآن كالبناء المتماسك الذي لا يمكن أن تُنزع منه لبنة واحدة، وأن كل آية تناسب ما قبلها وما بعدها، وهو من أعاجيب الكتب الإسلامية.

(١) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣/ ٣٧٠).

١٢ - التأمل في مقاصد القرآن الكبرى ومقاصد السور:

القرآن الكريم أنزل لمقاصد عظيمة ينبغي على متدبر القرآن التأمل فيها، وهذه المقاصد هي القضايا الأساسية التي عليها مدار معاني القرآن، وهي ثلاث محاور كبرى هي:

١ - معرفة الله وتحقيق توحيده.

٢ - اتباع دين الإسلام وتحكيمه.

٣ - معرفة العاقبة الحسنة لمن اتبع القرآن والسنة، والعاقبة السيئة لمن خالفهما في الدنيا والآخرة^(١).

والمراد بمقاصد السور: معرفة مغزى السورة الذي ترجع إليه معانيها، وهو ما يسميه بعضهم الوحدة الموضوعية^(٢).

قال البقاعي: "كل سورة لها مقصدٌ واحدٌ يُدار عليه أولُها وآخرُها، ويُستدل

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩ / ٩٥، ٩٦)، المقاصد الكبرى للقرآن الكريم لطله عابدين (ص: ٣٦، ٣٧، ١٣٦ - ١٦١).

(٢) يُنظر: علم مقاصد السور للربيع (ص: ٧)، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٢ / ٥٣٨).

عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجهه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل، استدل عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلم جرا. فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتداءً، ثم انعطف الكلام إليه، وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرفق غير الأول منيع"^(١).

وقد طبق هذا المنهج محمد دراز على سورة البقرة في كتابه النبأ العظيم، فأفاد وأجاد.

ومن ذلك سورة العصر، فمقصدها بيان طريق الربح والخسران في الدنيا، وبيان صفات الناجين من الخسارة، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فمن أدرك مقصد السورة علم لماذا جاءت بعد سورة التكاثر الذي هو سبب الركون للدنيا ونسيان الآخرة وخسرانها، ولماذا افتتحت بالقسم بالعصر الذي هو موضع الربح والخسران بما يحقق سعادة الإنسان، وأدت إلى الانتباه لمرور الساعات والأيام، وأدرك عظمة هذه السورة التي اشتملت مع قصرها على بيان طريق السعادة والنجاة من الخسران"^(٢).

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ١٤٩).

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠ / ٥٢٧ - ٥٢٨)، طرق العلماء في استخراج

الهدايات القرآنية وصياغتها دراسة تأصيلية تطبيقية لطفه عابدين (ص: ٢٤٠).

ومن ذلك: سورة البلد، فمقصدها المقارنة بين حال الأغنياء المبذرين والأغنياء المحسنين، فيستفاد من ذلك: الحض على الرحمة بالمساكين، والتخفيف عنهم؛ لأن الإنسان خُلِقَ في كبد أي: في مشقة وتعب، والمواساة بالمال تخفف على الناس مشقتهم، ومن بذّر بأمواله وأسرف فيها ولم يعط المساكين حقوقهم فإنه يستحق عذاب الله سبحانه، ومن لا يرحم لا يرحم.

١٣ - الاستفادة من الأحاديث النبوية المبينة للقرآن أو المتعلقة بالآيات:

السنة النبوية هي المبينة للقرآن الكريم، فقد كان النبي ﷺ يُعَلِّمُ الصحابة رضي الله عنهم كتاب الله وسنته كما أخبر الله سبحانه بذلك في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٢﴾ وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة: ٢-٤]، فالكتاب هو القرآن الكريم، والحكمة هي السنة النبوية^(١).

(١) يُنظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/٦٢٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٣٠٦)، تفسير السعدي (ص: ٣١٩).

وقد أمر الله رسوله أن يبين للناس بسنته ما نزل إليهم في كتابه، فقال سبحانه:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٤)

[النحل: ٤٤]، فكان النبي ﷺ يبين للأمة القرآن الكريم بسنته المطهرة، وهذا يدل

على أهمية الاستفادة من السنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية في بيان معاني القرآن الكريم، واستنباط الهدايات القرآنية^(١).

فدارس القرآن لا يتمكن من معرفة تفاصيل كثير من أحكام القرآن إلا بمعرفة السنة النبوية، فالعموم والإطلاق والإجمال في القرآن كثير، والسنة مبينة لذلك بتخصيص العموم وتقييد المطلق وتفصيل الإجمال، فعلى الناظر في القرآن الكريم أن يفهم معاني الآيات من خلال السنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية والتركيبية.

مثال ذلك: آيات الأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج، جاءت السنة النبوية بتفصيل أحكامها.

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا

(١) يُنظر: السنة ومكانتها في الشريعة الإسلامي للسباعي (ص: ٣٧٦، ٣٧٧).

كَسَبًا نَكَلًا مِّنَ اللَّهِ ﴿ [المائدة: ٣٨]، لم يبين الله في القرآن هل تقطع اليدان من كل سارق أو يد واحدة؟ وإن كان الذي تقطع يد واحدة فهل تقطع اليد اليمنى أو اليسرى؟ وهل تقطع من المنكب أو المرفق أو الرسغ؟ وما نصاب السرقة الذي تقطع اليد فيه ولا تقطع فيما دونه؟ وبين النبي ﷺ بسسته أن السارق تقطع يده اليمنى من الرسغ، وأنه تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً، ولا تقطع يده فيما دون ذلك^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، يفهم من هذه الآية أن قصر المسافر للصلاة لا يكون إلا في حال الخوف من الكفار، ولا يجوز قصر الصلاة في حال الأمن، وبين النبي ﷺ بسسته أن القصر جائز في حال الأمن، فقصر الصلاة في حجة الوداع وهو آمن، وسأله عمر رضي الله عنه عن هذه الآية فقال له: ((صَدَقَهُ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَأَقْبَلُوا صَدَقَتَهُ))^(٢).

(١) يُنظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٠٧، ١١٦)، تفسير القرطبي (٦/ ١٦٠، ١٧١،

(١٧٢).

(٢) رواه مسلم (٦٨٦).

١٤ - الاستفادة من التفسير المأثور عن الصحابة والتابعين وأتباعهم:

تعلّم الصحابة رضي الله عنهم من النبي ﷺ القرآن تلاوة وتفسيرًا، وتعلموا سنته، وتفقهوا في دين الله، فكانوا أعلم الناس بتفسير كتاب الله، ثم جاء بعدهم التابعون فتعلّموا منهم كتاب الله وسنة رسوله، وعلم التابعون هذا العلم من جاء بعدهم من أتباع التابعين، فالصحابة ثم تلامذتهم من التابعين ثم أتباع التابعين أعلم الأمة بكتاب الله وسنة رسوله، وخير الناس بشهادة الله ورسوله، وقد أمرنا الله باتباعهم، وأثنى عليهم بيانا لفضلهم، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُغْفِرُ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ كُلَّهَا خَيْرَ الْمُتَابِعِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [٤٨] بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَقَا﴾ [محمد: ١٦].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((خير الناس

قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١).

قال ابن تيمية: "يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ يَبْنِي لِأَصْحَابِهِ مَعَانِي الْقُرْآنِ كَمَا بَيْنَ لَهُمُ الْفَاضِلَ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا، وَقَدْ قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقَرِّئُونَنَا الْقُرْآنَ كَعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرَهُمَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَجَاوِزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا ... وَلِهَذَا كَانَ النِّزَاعُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ قَلِيلًا جَدًّا، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي التَّابِعِينَ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الصَّحَابَةِ، فَهُوَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَكَلِمَا كَانَ الْعَصْرُ أَشْرَفَ كَانَ الْجَمَاعَةُ وَالْإِتِّلَافُ وَالْعِلْمُ وَالْبَيَانُ فِيهِ أَكْثَرَ. وَمَنْ التَّابِعِينَ مَنْ تَلَقَّى جَمِيعَ التَّفْسِيرِ عَنِ الصَّحَابَةِ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ: عَرَضْتُ الْمَصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَوْقَفَهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ الثَّوْرِيُّ: إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسِبْكَ بِهِ؛ وَلِهَذَا يَعْتَمِدُ عَلَى تَفْسِيرِهِ الشَّافِعِيُّ وَابْنُ خَلَّابٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنْ صُنْفٍ فِي التَّفْسِيرِ، يَكْرُرُ الطَّرِيقَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ. وَالْمَقْصُودُ أَنَّ التَّابِعِينَ تَلَقَّوْا التَّفْسِيرَ عَنِ الصَّحَابَةِ، كَمَا تَلَقَّوْا عَنْهُمْ عِلْمَ السَّنَةِ،

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

وإن كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال، كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال" (١).

فلا غنى للمفسر عن النظر في كلام الصحابة والتابعين، فهم أفضل هذه الأمة علمًا وعملاً، وفيهم من فصاحة اللسان وقوة البيان ما ليس فيمن جاء بعدهم، مع ما هم عليه من الصدق والإخلاص والاحتياط في الكلام، والتحري في تفسير القرآن العظيم.

مثال ذلك: تفسير ابن مسعود وابن عباس وجابر رضي الله عنهم قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان: ٦] بأنه الغناء (٢).

ومن ذلك: تفسير علي وابن عباس رضي الله عنهم قوله تعالى: ﴿وَشَهِدْ وَمَشْهُودٌ﴾ [البروج: ٣] بأن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة (٣).
ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] قال

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٩-١١).

(٢) رواه عنهم ابن جرير في تفسيره بعدة أسانيد (١٨ / ٥٣٥، ٥٣٦).

(٣) رواه ابن جرير عنهما وعن غيرهما في تفسيره بعدة أسانيد (٢٤ / ٢٦٤، ٢٦٥).

عكرمة ومجاهد وقتادة وسفيان الثوري: تمشي بين الناس بالنميمة^(١).
ومن أخطاء بعض المفسرين المتأخرين والمعاصرين: الإعراض عن
التفسير المأثور عن السلف الصالح في بعض الآيات، ولو بدعوى التجديد،
فيحملون بعض الآيات ما لا تحتمل، ويأتون بما هو خطأ يقيناً، ومن ذلك:

١- تفسير الفخر الرازي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ۝﴾
[النازعات: ٥] بأن المراد الكواكب، ذكر هذا القول من الوجوه التي
تحتملها الآية، وقال: "بسبب سيرها وحركتها يتميز بعض الأوقات عن
بعض، فتظهر أوقات العبادات ... ولأن بسبب حركة الشمس تختلف
الفصول الأربعة، ويختلف بسبب اختلافها أحوال الناس في المعاش، فلا
جرم أضيفت إليها هذه التدبيرات ... الله سبحانه وتعالى أجرى عادته بأن
جعل كل واحد من أحوالها المخصوصة سبباً لحدوث حادث مخصوص
في هذا العالم، كما جعل الأكل سبباً للشبع، والشرب سبباً للري، ومماسة
النار سبباً للاحتراق، فالقول بهذا المذهب لا يضر الإسلام البتة بوجه من

(١) رواه عنهم ابن جرير في تفسيره بعدة أسانيد (٢٤ / ٧٢٠، ٧٢١)، وعلقه البخاري في
صحيحه في كتاب التفسير عن مجاهد بصيغة الجزم (٦ / ١٨٠).

الوجوه، والله أعلم بحقيقة الحال"^(١)، والمشهور في تفسير هذه الآية أن المراد الملائكة، ومن العجيب أن الفخر الرازي نفسه نقل الإجماع على هذا فقال في تفسيره: "وأما قوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] فأجمعوا على أنهم هم الملائكة"^(٢).

٢- تفسير محمد عبده المصري قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَائِرًا أَبَابِيلَ﴾ ^(٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ [الفيل: ٣، ٤] بأن الطير حشرات كالذباب والبعوض، والحجارة من سجيل عبارة عن ميكروبات وجراثيم وباء الجدري أو الحصبة فتكت بجيش أبرهة الحبشي، وتبعه على ذلك المراغي^(٣).

٣- قول محمد رشيد رضا في تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمْ تُنْكِرُوا لِلنِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ يَحْجِدْنَ مَاءً فَتَيَمَّمْنَ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣] "التيتم في السفر

(١) التفسير الكبير (٣١ / ٣١) باختصار. ويُنظر أيضًا: التفسير الكبير للرازي (١ / ٧٦).

(٢) التفسير الكبير (٣١ / ٢٩).

(٣) يُنظر: تفسير جزء عم لمحمد عبده (ص: ١٥٨)، تفسير المراغي (٣٠ / ٢٤٣).

جائز، ولو مع وجود الماء"^(١)، وهذا القول باطلٌ مخالف للإجماع، ولم يقل به أحدٌ من العلماء.

٤- تفسير أبي الفيض الغماري قول الله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١﴾ فَالْعَصْفَاتِ عَصَفًا ۝٢ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَرْقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمَلَقَاتِ ذِكْرًا ۝٥ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝٦﴾ [المرسلات: ١ - ٦] بأن المراد بها الطائرات الحربية، قال: "هذا وصف للطائرات الحربية بجميع حركاتها وأفعالها، تعصف بقنابلها، وتنشر المنشورات على الجنود ميادين الحرب وعلى الأهالي والسكان في المدن للدعاية والإخبار بما تريده الدولة المحاربة، وتفرق بين الجموع والكتائب فرقا؛ لأن الرعب بها، والهزيمة بها أشد من غيرها، ... فالملاقات ذكرا في المنشورات عذرا تعتذر به الدولة عن ضربها بعض الأماكن البريئة، أو نذرا تنذر به السكان وتخوف وتوعد وتهدد"^(٢)، والمعروف في تفسير هذه الآيات أنها قسمٌ بالرياح أو بالملائكة أو الثلاث الآيات الأولى قسمٌ بالرياح والثلاث الآيات الأخرى قسمٌ بالملائكة، أو الآيتان الأوليان قسمٌ

(١) يُنظر: تفسير المنار (٥ / ٩٨).

(٢) مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية (ص: ١٦).

بالرياح والأربع الآيات الأخيرة قسمٌ بالملائكة، وقيل: ﴿وَالنَّشْرَتِ نَشْرًا﴾^(١) تعم الرياح والملائكة.

٥- تفسير ابن عاشور قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩] بقوله: "معنى جمع الشمس والقمر: التصاق القمر بالشمس فتلتهمه الشمس؛ لأن القمر منفصل من الأرض التي هي من الأجرام الدائرة حول الشمس كالكواكب، ويكون ذلك بسبب اختلال الجاذبية التي وضع الله عليها النظام الشمسي"^(٢). والعلامة ابن عاشور ممن يتوسعون في القول بقبول إحداث قول جديد في التفسير ولو كان مخالفاً لإجماع مفسري السلف^(٣)، وهذا التوسع غير مُرضٍ، وإن كان تفسيره من أحسن تفاسير المعاصرين المبسطة وأكثرها فائدة.

(١) يُنظر: التفسير المحرر (٤١ / ٤٢٤ - ٤٣٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩ / ٣٤٥).

(٣) يُنظر: موقف ابن عاشور من الإحداث في التفسير عرض وبيان لخليل محمود اليماني، مقال منشور في موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية:

<https://tafsir.net/articles/10972>

١٥ - تأمل الآيات من خلال مكتشفات العلوم التطبيقية:

أمر الله سبحانه عباده في آيات كثيرة بالنظر والتفكر في السماء والأرض وما فيهما من المخلوقات الكبيرة والصغيرة الدالة على قدرة الله وحكمته وتوحيده وعظمته، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ومدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۖ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝﴾ [ق: ٦ - ٨]، وقال عز وجل: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، ومع تطور العلم التجريبي التطبيقي ظهرت اكتشافات كثيرة مطابقة لما نص عليه القرآن الحكيم الذي لا تنقضي عجائبه، وعند تأمل تلك الآيات من خلال مكتشفات العلوم التطبيقية تظهر هدايات قرآنية، ويظهر إعجاز جديد للقرآن العظيم^(١).

(١) طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها دراسة تأصيلية تطبيقية لطفه

عابدين (ص: ٢١٧ - ٢١٩).

ومن القرآن العظيم ما استأثر الله بعلمه، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ

بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقد يشاء الله أن يطلع

المتأخرون على معنى آية دون المتقدمين، وهذا قليل جداً، وكثير منه مما

تحتمل الآية ما ذكره السلف وما ذكره المتأخرون، فإن القرآن حمال أوجه،

ومن ذلك الإعجاز العلمي في القرآن.

والناس في الإعجاز العلمي في القرآن على ثلاثة أصناف، طرفين ووسط:

١ - قوم بالغوا في إثبات الإعجاز العلمي في القرآن، وتكلفوا في حمل كثير من

الآيات على بعض الحقائق العلمية مع عدم احتمال اللفظ القرآني لما ذهبوا

إليه، وفسروا بعض الآيات وفق بعض النظريات التي لم تثبت بالأدلة

القطعية، وهؤلاء أفرطوا وتكلفوا.

٢ - قوم نفوا الإعجاز العلمي في القرآن جملة وتفصيلاً، وهؤلاء فرطوا وقصروا.

٣ - قوم توسطوا، فأثبتوا من الإعجاز العلمي ما احتمله لفظ القرآن بلا تكلف،

بشرط أن يكون الإعجاز في حقيقة علمية لا نظرية قابلة للقبول والرد، فإن

ثبت الإعجاز فسروا الآية بما فسرهما السلف أولاً بالإضافة إلى المعنى

الجديد، وهذا هو الموقف الصحيح من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

بلا إفراط ولا تفريط^(١).

ويشترط في القول بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم أن تحتمله الآية بلا تكلف، وأن يكون في حقيقة علمية ثابتة لا في نظرية قابلة للإبطال، وأن يكون المتكلم في الإعجاز العلمي عارفاً بعلم التفسير وأصوله وقواعده، فلا بد من التوازن والواقعية في طرح الإعجاز العلمي والقضايا المتعلقة به، فلا نجعله كل شيء، وأنه السبيل الأمثل للدعوة، ولا ننكر ما ثبت منه بلا تكلف، فالقرآن لا تنقضي عجائبه^(٢).

ومن أمثلة الآيات القرآنية التي فيها إعجاز علمي وفيها مجال لاستخراج هداياتها من خلال مكتشفات العلوم التطبيقية:

١ - قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، قال ابن عاشور: "من إعجاز القرآن العلمي ذكر العلق؛ لأن الثابت في العلم الآن أن الإنسان

(١) يُنظر: العلم لابن عثيمين (ص: ١٠٥)، فصول مهمة في تاريخ التفسير للمطري (ص: ١١٥ - ١١٧).

(٢) يُنظر: الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي لشحاتة صقر (ص: ٣٦٢ - ٣٩٧)، الإعجاز العلمي إلى أين؟ لمساعد الطيار (ص: ١٩١، ١٩٢).

يتخلق من بويضة دقيقة جداً لا تُرى إلا بالمرآة المكبرة أضعافاً تكون في مبدأ ظهورها كروية الشكل سابحة في دم حيض المرأة فلا تقبل التخلق حتى تخالطها نطفة الرجل فتمتزج معها فتأخذ في التخلق إذا لم يعقها عائق كما قال تعالى: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥]، فإذا أخذت في التخلق والنمو امتد تكورها قليلاً فشابهت العلقة التي في الماء مشابهة تامة في دقة الجسم وتلونها بلون الدم الذي هي سابحة فيه، وفي كونها سابحة في سائل كما تسبح العلقة"^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فقد أثبت العلوم التجريبية أن الماء هو المكون الأساسي للخلية الحية في جميع الكائنات من إنسان وحيوان ونبات^(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ

(١) التحرير والتنوير (٣٠ / ٤٣٨). ويُنظر: الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي لشحادة

صقر (ص: ٤٠٤ - ٤٠٩).

(٢) يُنظر: الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي لشحادة صقر (ص: ٤٤٨ - ٤٥٠).

جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴿[النساء: ٥٦]﴾، ذكر غير واحد من المعاصرين أن هذه الآية فيها إعجاز علمي سبق العلم التجريبي بشهادة المتخصصين في علم التشريح، وهو أن مواقع الإحساس في الجلد، وليس في اللحم ولا العظم^(١).

٤- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فقد أثبت العلم الحديث أن الإنسان كلما ارتفع إلى طبقات الجو العليا قل الأكسجين وصعب التنفس، وفي الآية تشبيه من أضله الله بالذي يصعد في السماء فيضيق صدره، بسبب الاختناق حتى يصل إلى درجة حرجة وصعبة جداً^(٢).

٥- قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]، ذكر غير واحد من المعاصرين

(١) يُنظر: مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (ص: ٢٢٥)، الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي لشحاتة صقر (ص: ٤١٢، ٤١٣).

(٢) يُنظر: الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي لشحاتة صقر (ص: ٥١٩ - ٤٢٢).

أن هذه الآية فيها إعجاز علمي، وهو أن الجبال تُثبت الأرض كالأوتاد التي تمسك الخيمة من الاضطراب والسقوط، والأوتاد يكون أكثرها مغروزة في الأرض، وأثبت العلم الحديث هذه الحقيقة التي ذكرها القرآن العظيم، وهي أن الجبال تثبت الأرض، وأن الجزء المغروز من الجبال يزيد على ارتفاعها الظاهر بعدة مرات^(١).

(١) يُنظر: مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (ص: ١٨٨ - ١٩٠)، الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي لشحاتة صقر (ص: ٤٣٢ - ٤٣٥).

قواعد في استخراج الهدايات القرآنية والاستفادة منها

هذه قواعد مهمة في استخراج الهدايات القرآنية والاستفادة منها:

١ - العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

من القواعد المهمة في تدبر القرآن أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد نزلت آيات في أسباب واتفق العلماء على تعديتها إلى غير أسبابها كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر رضي الله عنه، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية رضي الله عنه، وحد القذف في الذين رموا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ثم تعدى الحكم إلى غيرهم^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال:

(١) يُنظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٤ / ٢٦٩ - ٢٩٩)، الإتيقان في علوم

القرآن للسيوطي (١ / ١١٠، ١١١).

((لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ))^(١).

٢- النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام تفيد العموم:

مما يفيد العموم النكرة في سياق النفي كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا

اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، والنكرة في سياق النهي كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ

وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، والنكرة في سياق الشرط كقول

الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفُّوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤]، والنكرة في سياق الاستفهام الإنكاري كقوله

تعالى: ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَآءٍ﴾ [القصص: ٧١]^(٢).

٣- تُحمل الآية على أوسع معانيها:

إذا تعددت الأقوال في معنى الآية، وكانت الآية تحتل جميع الأقوال، فينبغي

حمل الآية على جميع تلك المعاني، فمن عظمة القرآن أنه واسع المعاني، ولا

(١) رواه البخاري (٥٢٦) ومسلم (٢٧٦٣).

(٢) يُنظر: حاشية العطار على شرح المحلي على جمع الجوامع (٢/ ٩ - ١١)، تفسير

السعدي (ص: ٩٤١).

ينبغي قصر الآية على بعض معانيها وهي تحتل معنى أوسع^(١).

قال محمد بن نصر المروزي: "سمعت إسحاق بن راهويه يقول: الآية الواحدة يفسرها العلماء على أوجه وليس ذلك باختلاف. وقد قال سفيان بن عيينة: ليس في تفسير القرآن اختلاف إذا صح القول في ذلك"^(٢).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] قال الشوكاني: "أي: حال كونكم خفافاً وثقلاً، قيل: المراد منفردين أو مجتمعين، وقيل: نشاطاً وغير نشاط، وقيل: فقراء وأغنياء، وقيل: شباباً وشيوخاً، وقيل: رجالاً وفرساناً، وقيل: من لا عيال له ومن له عيال، وقيل: من يسبق إلى الحرب كالطلّاع، ومن يتأخر كالجيش، وقيل غير ذلك. ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه المعاني؛ لأن معنى الآية: انفروا خفت عليكم الحركة أو ثقلت"^(٣).

٤ - مراعاة دلالة المطابقة والتضمن والالتزام عند استخراج الهدايات القرآنية: على مستخرج الهدايات القرآنية أن يراعي ما دلت عليه ألفاظ القرآن مطابقة، وما دخل في ضمنها، ويراعي لوازم تلك المعاني، وما لا تحصل إلا بها،

(١) يُنظر: تفسير ابن جرير (١/ ٣٢٩)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٣٣٣ - ٣٤٣).

(٢) السنة (ص: ٧) باختصار وتصرف يسير.

(٣) فتح القدير (٢/ ٤١٤).

وما يقتضيه اللفظ، وما يترتب عليه، فإن القرآن حق، ولازم الحق حق، وما يتوقف عليه الحق حق^(١).

ودلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، دلت الآية بمنطوقها الصريح على مشروعية البيع وحرمة الربا، ودلالة التضمن هي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، تضمن الأمر بالصلاة الأمر بالركوع والسجود لأنهما جزء من الصلاة، ودلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على لازم معناه وشروطه ومتمماته، مثل الأمر بالصلاة يلزم منه وجوب تحصيل الطهارة واستقبال القبلة وستر العورة، ومثل: اسم الله الخالق، يدل على ذات الله سبحانه، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام^(٢).

(١) يُنظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي (ص: ٣٢).

(٢) يُنظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٢/ ٢٦٩)، القواعد المثلى لابن عثيمين (ص: ١١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، فالأمر بأداء الأمانات إلى أهلها يدل على وجوب أدائها إلى أصحابها، وعدم تسليمها إلى غيرهم بلا إذنهم، ويدل على وجوب حفظ جميع الأمانات كبيرها وصغيرها، سواء كان صاحبها مسلماً أو كافراً أو فاسقاً، ويدل على حرمة إضاعة الأمانات، وأن من فرط فيها فهو ضامن لها. والأمر بالحكم بين الناس بالعدل يدل على أن كل حاكم بين الناس في الأمور الكبار والصغار لابد أن يكون عالمًا بما يحكم به، ويحصل من العلم ما يؤهله إلى الحكم بالعدل^(١).

٥ - حذف المتعلق يفيد العموم:

الفعل إذا فُيِّد بشيء تقيّد به، وإذا أطلقه الله سبحانه وحذف متعلقه كان القصد من ذلك التعميم بكل احتمال مناسب بحسب القرائن^(٢).

مثال ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ

(١) يُنظر: فتح القدير للشوكاني (١ / ٥٥٥)، القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي (ص: ٣٣).

(٢) يُنظر: إرشاد الفحول للشوكاني (١ / ٣٣١).

تَذَكَّرُوا ﴿١٥٢﴾ [الأنعام: ١٥٢]، المراد لعلكم تذكرون جميع مصالحكم الدينية والدينية^(١).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١] قال الرازي: "قوله تعالى: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ مطلق في كل ما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة. واعلم أن هذه الآية دلت على أن كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح في المجلس، بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه"^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢] قال ابن عاشور: "حذف المتعلق بفعل ﴿دُعُوا﴾ لإفادة شمول ما يُدعون لأجله في التعاقد: من تحمّل عند قصد الإشهاد، ومن أداء عند الاحتياج إلى البينة"^(٣).

(١) يُنظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي (ص: ٤٣).

(٢) التفسير الكبير (٢٩ / ٤٩٤).

(٣) التحرير والتنوير (٣ / ١١٣).

وقوله تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] يعم جميع ما يقصد الناس فيه المكاثرة من الرياسات والأموال والأولاد والعقار والتجارات، ومن ذلك التكاثر في عصرنا هذا من المتابعين والمشاهدات في وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها^(١).

٦- الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، والعكس:

إذا أمر الله تبارك وتعالى بشيء فهو نهى عن ضده، وإذا نهى عن شيء فهو أمر بضده، فحيث أمر بالتوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج وبر الوالدين وصلة الرحم والعدل والإحسان، كان ناهياً عن الشرك وعن ترك الصلاة وترك الزكاة وترك الصوم وترك الحج وعن العقوق والقطيعة والظلم والإساءة، وحيث نهى عن الشرك وترك الصلاة كان آمراً بالتوحيد والمحافظة على الصلاة، وهكذا^(٢).

قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

(١) تدبر القرآن الكريم للصاوي (٢/ ٣٠٤).

(٢) يُنظر: إرشاد الفحول للشوكاني (١/ ٢٦٣)، القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي (ص: ٩٢).

الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]: "الأمر يشمل النهي عن الضد، فإن النهي عن المنكر أمر بالمعروف، والأمر بالمعروف نهي عن المنكر؛ لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، فالاجتزاء بالأمر بالعرف عن النهي عن المنكر من الإيجاز، وإنما اقتصر على الأمر بالعرف هنا لأنه الأهم في دعوة المشركين؛ لأنه يدعوهم إلى أصول المعروف واحدًا بعد واحد" (١).

وتدل هذه الآية أيضًا على ذم الجاهل والجاهلين، والحض على طلب العلم، والحث على الإقبال على مجالسة أهل العلم وسؤالهم والاستفادة منهم (٢).

٧- زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى:

جميع ألفاظ القرآن دالة على معانٍ بليغة، وحكم وأحكام بديعة، فالقرآن منزّه عن أن يقع فيه لفظ لا معنى له، فأَيُّ زيادة في لفظة في القرآن تدل على معنى زائد على ما يدل عليه اللفظ دونها (٣).

قال السيوطي في قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ﴾ [فاطر: ٣٧] أبلغ من (يصرخون) للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخًا منكراً خارجًا عن الحد

(١) التحرير والتنوير (٩ / ٢٢٨).

(٢) يُنظر: تدبر آية الأخلاق للمطري (ص: ١٣).

(٣) يُنظر: القواعد والأصول وتطبيقات التدبر لخاليد السبت (ص: ٧٦).

المعتاد. ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿٤٢﴾﴾ [القمر: ٤٢] أبلغ من (قادر) للإشارة إلى زيادة التمكن في القدرة، وأنه لا راد له ولا معقّب، ومثل ذلك ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ [مريم: ٦٥] أبلغ من (اصبر)"^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَمَا أَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا أَسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف: ٩٧]، قال ابن عاشور: "﴿أَسْطَعُوا﴾ تخفيف ﴿أَسْتَطَعُوا﴾، ... استطاعة نقب السد أقوى من استطاعة تسلقه، فهذا من مواضع دلالة زيادة المبنى على زيادة في المعنى"^(٢).

٨ - الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت:

من المقرر في علوم البلاغة أن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت"^(٣). قال السيوطي: "الاسم يدل على الثبوت والاستمرار، والفعل يدل على التجدد والحدوث، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨]، ولو قيل: ييسط لم يؤد

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٠٠) بتصرف يسير.

(٢) التحرير والتنوير (١٦/ ٣٨).

(٣) يُنظر: مفتاح العلوم للسكاكي (ص: ٢٧٤).

الغرض؛ لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط، وأنه يتجدد له شيء بعد شيء، فبإسقاط
أشعر بثبوت الصفة. وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ [فاطر: ٣] لو
قيل: رازقكم لفات ما أفاده الفعل من تجدد الرزق شيئاً بعد شيء^(١).

وقال الألويسي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا
السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠]: "لا يخفى ما في تغيير
الأسلوب من المبالغة؛ لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت مع
الإيذان بأن الجعل لم يتطرق لتلك الكلمة، وأنها في نفسها عالية بخلاف علو
غيرها فإنه غير ذاتي بل بجعل وتكلف، فهو عرض زائل"^(٢).

٩ - الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث:

من المقرر في علوم البلاغة أن الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث^(٣).

قال السيوطي: "﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]
يفيد صورة ما هم عليه وقت المجيء، وأنهم آخذون في البكاء يجددونه شيئاً بعد

(١) الإتيان في علوم القرآن (٢/ ٣٧٦ - ٣٧٧).

(٢) روح المعاني (٥/ ٢٩٠).

(٣) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٢/ ١٣٣).

شيء، ... أيضاً عبر بـ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ولم يقل: المنفقون كما قيل: المؤمنون والمتقون؛ لأن النفقة أمر فعلي شأنه الانقطاع والتجدد بخلاف الإيمان فإن له حقيقة تقوم بالقلب يدوم مقتضاها^(١).

وقال أبو السعود في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتُلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ [الحج: ٧٢]: "صيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجديدي"^(٢).

١٠ - الهداية التي تؤيدها آية قرآنية أو حديث صحيح مقدمة على غيرها: أي هداية مستنبطة من القرآن الكريم بما يوافق الأصول والقواعد، وهي مصرح بها في موضع آخر في القرآن الكريم أو في السنة النبوية الصحيحة، فإنها هداية مقبولة، وتُقدَّم على غيرها عند التعارض^(٣).

مثال ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِىْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ قَالَ لَنْ

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٧٧) باختصار وتصرف.

(٢) تفسير أبي السعود (٦/ ١٢٠).

(٣) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٢٨٦، ٢٨٧)، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (٢/ ٦٣٦ - ٦٣٨).

تَرَنِّي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَنِّي ﴿

[الأعراف: ١٤٣] قال الخازن: "تمسك من نفى الرؤية من أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِّي﴾ قالوا: (لن) تكون للتأييد والدوام، ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل، ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة، وما قالوه في أن (لن) تكون للتأييد خطأ بين، ودعوى على أهل اللغة؛ إذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة، ولم يقل به أحد منهم، ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] مع أنهم يتمنون الموت يوم القيامة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧]، فإن قالوا: إن لن معناها تأكيد النفي كلا التي تنفي المستقبل، قلنا: إن صح هذا التأويل فيكون معنى ﴿لَنْ تَرَنِّي﴾ محمولاً على الدنيا، أي: لن تراني في الدنيا، جمعاً بين دلائل الكتاب والسنة، فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الآخرة، وأيضاً فإن موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفاً بالله تعالى وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل، وفي الآية دليل على أنه سأل

الرؤية، فلو كانت الرؤية ممتنعة على الله تعالى لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام، فحيث سألها علمنا أن الرؤية جائزة على الله تعالى، وأيضاً فإن الله عز وجل علق رؤيته على أمر جائز، والمعلق على الجائز جائز، فيلزم من ذلك كون الرؤية في نفسها جائزة^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] قولان في تفسيرها، قيل: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب، وقيل: هي السبع الطوال، قال الشنقيطي: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ))"^(٢)، فهذا نص صحيح من النبي ﷺ أن المراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم: فاتحة الكتاب، وبه تعلم أن قول من قال: إنها السبع الطوال، غير صحيح، إذ لا كلام لأحد معه ﷺ، ومما يدل على عدم صحة ذلك القول: أن آية الحجر هذه مكية، وأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة"^(٣).

(١) تفسير الخازن (٢/ ٢٤٥).

(٢) رواه البخاري (٤٧٠٤).

(٣) أضواء البيان (٢/ ٣١٥).

١١ - الهداية التي نص عليها الصحابة والتابعون أولى من غيرهم:

أي هداية مستنبطة من القرآن الكريم بما يوافق الأصول والقواعد، وهي مما نص عليها الصحابة والتابعون فهي أولى من قول غيرهم، فالصحابه أعلم الناس بتفسير كتاب الله سبحانه، فقد عاصروا التنزيل، ونزل القرآن بلغتهم، وهم أعلم الناس بأحوال الرسول وواقع نزول القرآن وأسباب النزول، والتابعون الذين أخذوا العلم عنهم أعلم ممن بعدهم^(١).

مثال ذلك قول الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝﴾ [النجم: ٥ - ٨] قال ابن كثير: "قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) إنما هو جبريل عليه السلام، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين، وعن ابن مسعود، وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنهم، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا"^(٢).

فما ذهب إليه الصحابة في تفسير هذه الآية مقدم على ما قاله مقاتل بن

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩ / ٢٠٠، ٢٠١)، الهدايات القرآنية دراسة

تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (٢ / ٦٣٨ - ٦٤١).

(٢) تفسير ابن كثير (٥ / ٨).

سليمان: "ثم دنا الرب تعالى من محمد فتدلى، وذلك ليلة أسري بالنبي ﷺ إلى السماء السابعة، فكان منه قاب قوسين" (١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ ۖ وَاتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] ثبت عن غير واحد من الصحابة والتابعين أنها نزلت في الأنصار كانوا في الجاهلية إذا رجع أحدهم من الحج لم يدخل من باب بيته، بل يدخل من ظهر بيته، ويظنون أن ذلك من البر، ومن تمام الحج، فأنزل الله هذه الآية، ثبت هذا من حديث البراء بن عازب الأنصاري وجابر بن عبد الله الأنصاري، وروى عن ابن عباس نحوه، وكذا روى عن مجاهد، والزهري، وقتادة، وإبراهيم النخعي، والسدي، والربيع بن أنس، والحسن البصري (٢)، فتفسير هذه الآية بأقوال الصحابة والتابعين أولى مما قاله أبو عبيدة معمر بن المثنى في تفسير هذه الآية: "أي: اطلبوا البر من أهله ووجهه، ولا تطلبوه عند الجهلة المشركين" (٣).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ١٦٠).

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير (١ / ٥٢٢ - ٥٢٣).

(٣) مجاز القرآن (١ / ٦٨).

١٢ - الهداية التي تؤيدها قرائن السياق مرجحة على ما خالفها:

أي هداية مستنبطة من القرآن الكريم بما يوافق الأصول والقواعد، وتؤيدها قرائن السياق، فهي مرجحة على ما خالفها، فالقرآن الكريم محكم ليس فيه تناقض ولا اختلاف، والأصل في الكلام أن يكون مترابطاً متناسباً، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل^(١).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥] قال ابن كثير: "الأظهر والله أعلم أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج؛ لأن سياق الآية يدل عليه، ... والآية الكريمة سياقها كلها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ﴾ أي:

(١) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (٢ / ٦٤١ - ٦٤٤).

تزوجن، كما فسرّه ابن عباس ومن تبعه^(١).

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا

أُمَمٌ لِّتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ

أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرعد: ٣٠، ٣١] اختلف في تقدير

جواب (لو)، فقيل: التقدير: ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض

أو كلم به الموتى لكان هذا القرآن، وقيل: التقدير: لما آمنوا، ويدل عليه سياق

الآية، فقد قال قبلها: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، قال ابن هشام

النحوي: "﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١] الآية أي: لما آمنوا

به، بدليل: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، والنحويون يُقدِّرون: لكان

هذا القرآن، وما قدَّرتُه أظهر^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٢).

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعراب (ص: ٨٤٩).

١٣ - القول بالتأسيس أولى من القول بالتأكيد:

الهداية المستنبطة من القرآن الكريم بما يوافق الأصول والقواعد، وفيها تأسيس لمعنى جديد، هي أولى من القول بأنها مؤكدة لما قبلها، إفادة معنى جديد لم يكن مذكورًا أولى من إعادة معنى سابق^(١).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فمعنى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ﴾ حتى ينقطع حيضها، ومعنى قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن بالماء^(٢)، وهذا مذهب جمهور الفقهاء خلافاً للأحناف الذين ذهبوا إلى أن قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ تأكيد لما قبلها، وأجازوا للرجل أن يأتي زوجته إذا انقطع حيضها قبل أن تغتسل إذا بلغ حيضها أكثره، وهو عشرة أيام^(٣).

(١) يُنظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٤ / ٨٣)، البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٢ / ٣٧٢).

(٢) يُنظر: تفسير ابن جرير (٣ / ٧٣١، ٧٣٣).

(٣) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٢ / ٣٦)، التجريد للقدوري (١ / ٣٤٢ - ٣٤٧).

قال ابن العربي في رده على الحنفية في هذه المسألة: "حملتم أنتم اللفظ على التكرار، فتركتم فائدة عوده، وإذا أمكن حمل اللفظ على فائدة مجددة لم يحمل على التكرار في كلام الناس، فكيف كلام العليم الحكيم؟!""^(١).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]
قال الشنقيطي: "الأظهر أن ضمير الفاعل المحذوف في قوله: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ راجعاً إلى قوله: ﴿كُلُّ﴾ أي: كل من المصلين قد علم صلاة نفسه، وكل من المسيحين قد علم تسبيح نفسه، وعلى هذا القول فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ تأسيس لا تأكيد، أما على القول بأن الضمير راجع إلى الله أي: قد علم الله صلاته يكون قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ كالتكرار مع ذلك، فيكون من قبيل التوكيد اللفظي، والمقرر في الأصول أن الحمل على التأسيس أرجح من الحمل على التوكيد""^(٢).

(١) أحكام القرآن (١/ ٢٣٢).

(٢) أضواء البيان (٥/ ٥٥١، ٥٥٢) بتصرف يسير.

١٤ - القول بالتباين أولى من القول بالترادف:

إذا اختلفت أقوال المفسرين في معنى لفظة قرآنية بين من يقول بالترادف ومن يقول بالتباين فأرجح القولين حملها على التباين؛ لأنه الأصل، والترادف خلاف الأصل، وكل لفظة في القرآن الكريم مقصودة بالمعنى، ولها أثر في دلالة المعنى^(١).

مثال ذلك: ذهب بعض العلماء إلى أن الرحمن والرحيم بمعنى واحد، مثل عالم وعليم، وذهب جمهور اللغويين والمفسرين إلى الفرق بين معنى الرحمن والرحيم، وإن كانا اسمين دالين على صفة الرحمة لله عز وجل^(٢).

قال السيوطي: "وحاصله أن معنى الرحيم ذو الرحمة، ومعنى الرحمن كثير الرحمة جدًا"^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣ / ٣٤١)، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (٢ / ٦٤٧، ٦٤٨).

(٢) يُنظر: معترك الأقران للسيوطي (١ / ٣١٣)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١ / ١٧١ - ١٧٣).

(٣) نواهد الأبكار (١ / ١٤٨).

جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ [البروج: ١٠]، الأصل في الواو المغايرة، والقول بالتباين أولى من القول بالترادف، فعذاب جهنم غير عذاب الحريق، عذاب جهنم في الآخرة، وعذاب الحريق في البرزخ، فهذه الآية دليل على إثبات عذاب القبر^(١).

١٥ - القول بالترتيب مقدّم على القول بالتقديم والتأخير:

إذا اختلفت أقوال المفسرين في معنى آية في كتاب الله، وكان خلافهم دائراً بين مدّع للتقديم والتأخير في الآية، ومبق لها على ترتيبها، فأولى القولين بالصواب قول من قال بالترتيب؛ لأنه الأصل في الكلام، والقول بالتقديم والتأخير خلاف الأصل^(٢).

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمُ ارْأَيْكَ رَافِعُكَ إِيَّاهُ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]، قال الإيجي: "المراد من الوفاة ها هنا النوم، وعليه الأكثرون أو في الآية تقديم وتأخير تقديره: إني رافعك

(١) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٢٤٧).

(٢) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٥١)، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (٢/ ٦٥٠ - ٦٥٢).

إلى ومتوفيك يعني: بعده"^(١)، وقال السمين الحلبي: "قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] فيه وجهان، أظهرهما: أن الكلام على حاله من غير ادعاء تقديم وتأخير فيه، بمعنى: إني مستوفي أجلك ومؤخر ك وعاصمك من أن يقتلك الكفار إلى أن تموت حتف أنفك من غير أن تقتل بأيدي الكفار ورافعك إلى سمائي. والثاني: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والأصل: رافعك إلي ومتوفيك؛ لأنه رفع إلى السماء ثم يتوفى بعد ذلك، والواو للجمع فلا فرق بين التقديم والتأخير، قاله أبو البقاء وبدأ به، ولا حاجة إلى ذلك مع إمكان إقرار كل واحد في مكانه بما تقدم من المعنى"^(٢).

وقوله تعالى في آية الوضوء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، قال الرازي: "ذكر هذه الأعضاء لا على وفق الترتيب المعتبر في الحس، ولا على وفق الترتيب المعتبر في الشرع، وذلك يدل على أن الترتيب واجب. بيان المقدمة الأولى أن الترتيب المعتبر في

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (١ / ٢٥١).

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣ / ٢١٣)

الحس أن يبدأ من الرأس نازلاً إلى القدم، أو من القدم صاعداً إلى الرأس، والترتيب المذكور في الآية ليس كذلك، وأما الترتيب المعتبر في الشرع فهو أن يجمع بين الأعضاء المغسولة، ويفرد الممسوحة عنها، والآية ليست كذلك، فإنه تعالى أدرج الممسوح في أثناء المغسولات، إذا ثبت هذا فنقول: هذا يدل على أن الترتيب واجب، والدليل عليه أن إهمال الترتيب في الكلام مستقبح، فوجب تنزيه كلام الله تعالى عنه" (١).

١٦ - القول بالحقيقة مقدّم على القول بالمجاز:

أجمع العلماء على أن الأصل في الكلام الحقيقة لا المجاز (٢)، ولا يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلى دليل وقرينة تدل على أن الكلام محمولٌ على الاتساع والتأكيد والتشبيه (٣).

قال ابن جرير: "تأويل القرآن على المفهوم الظاهر الخطاب دون الخفي الباطن منه حتى تأتي دلالة من الوجه الذي يجب التسليم له بمعنى خلاف دليله

(١) التفسير الكبير (١١ / ٣٠٠).

(٢) يُنظر: نفائس الأصول للقرافي (٢ / ٨٦٩، ٨٧٠).

(٣) يُنظر: الخصائص لابن جني (٢ / ٤٤٤)، إرشاد الفحول للشوكاني (١ / ٦٨ - ٧٣).

الظاهر المتعارف في أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن أولى^(١).

ومن ذلك آيات وأحاديث الصفات، قال ابن عبد البر: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكَيِّفون شيئاً من ذلك، ولا يحدّون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة"^(٢).

مثال ذلك: قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] قال الرازي: "في لفظ السكارى في هذه الآية قولان: الأول: المراد منه السكر من الخمر، وهو نقيض الصحو، وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين. والقول الثاني: وهو قول الضحاك: وهو أنه ليس المراد منه سكر الخمر، إنما المراد منه سكر النوم، ... واعلم أن الصحيح هو القول الأول، ويدل عليه وجهان: الأول: أن لفظ السكر حقيقة في السكر من شرب الخمر، والأصل في الكلام الحقيقة، فأما حمله على السكر من العشق، أو من الغضب أو من الخوف، أو من النوم، فكل

(١) تفسير ابن جرير (٢/ ٣٦٩).

(٢) التمهيد (٥/ ١٥٦).

ذلك مجاز، وإنما يستعمل مقيداً^(١).

وقول الله تعالى: ﴿أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦] أي: أأمنتم - أيها المشركون - الله الذي فوق السماء أن يخسف بكم الأرض عقوبة لكم على كفركم بالله؟^(٢)، والأدلة على إثبات صفة العلو لله تعالى كثيرة جداً من القرآن الكريم وصحيح السنة. ومن أخطاء بعض المفسرين أنهم أولوا هذه الآية على غير ظاهرها اللائق بالله سبحانه، فقال بعضهم: ﴿أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] أي: سلطانه، وقال بعضهم: أي: أمره وقضاؤه، وقال بعضهم: أي: عذابه، وقال بعضهم: أي: جبريل عليه السلام^(٣).

(١) التفسير الكبير (١٠ / ٨٧).

(٢) يُنظر: تفسير ابن جرير (٢٣ / ١٢٩)، الهداية لمكي بن أبي طالب (١٢ / ٧٦٠٠)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢ / ٢٣٦)، إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي (ص: ٦٣)، روح المعاني للألوسي (١٥ / ١٧، ١٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٥ / ٨٢ - ٨٤)، تفسير السعدي (ص: ٨٧٧)، أيسر التفاسير للجزائري (٥ / ٤٠٠).

(٣) يُنظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤ / ٣٢٩)، التفسير الكبير للرازي (٣٠ / ٥٩٢)، تفسير الجلالين (ص: ٧٥٦)، حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٨ / ٢٢٢)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩ / ٣٣).

١٧ - المعنى الشرعي مقدّم على المعنى اللغوي:

ألفاظ القرآن والسنة قد يكون لها حقيقة شرعية مثل الوضوء والصلاة والزكاة والحج والركوع والسجود والتيمم والأذان، ولها حقيقة لغوية، والأصل حملها على الحقيقة الشرعية إلا إذا دلت قرينة على أن المراد بها الحقيقة اللغوية؛ لأن ألفاظ القرآن والسنة جاءت لبيان المعنى الشرعي لا لبيان اللغة^(١).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الحج: ١٨]، اختلف المفسرون في معنى سجود هذه الأشياء، ف قيل: هو بمعنى السجود اللغوي، وهو الخضوع، وقيل: هو بمعنى السجود الشرعي، وهو العبادة لله، قال الواحدي: "واختلفوا في معنى سجود هذه الأشياء، والصحيح أن المراد بسجودها: خضوعها وذلتها وانقيادها لمولائها فيما يريد منها"^(٢)، وقال الأزهري: "سجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقها عنها كما لا نفقه تسييحها"^(٣)، وقال السمعاني: "من اعتقاد أهل السنة أن الحيوان والموات

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢ / ١٦٧)، إرشاد الفحول للشوكاني (١ / ٦٣ - ٦٦).

(٢) التفسير البسيط (١٥ / ٣٢٤). ويُنظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤ / ١١٣).

(٣) تهذيب اللغة (٤ / ١٩٧).

مطيع كله لله تعالى، وقال بعضهم: إن سجود الحجارة هو بظهور أثر الصنع فيه، على معنى أنه يحمل على السجود والخضوع لمن تأمله وتدبر فيه، وهذا قول فاسد، والصحيح ما قدمنا، والدليل عليه أن الله تعالى وصف الحجارة بالخشية^(١)، فالأرجح هنا تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي، وهو أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب كلها تسجد لله سجود عبادة، وليس المراد بالسجود مجرد خضوعها^(٢).

ومثال تقديم الحقيقة اللغوية على الحقيقة الشرعية لقريظة قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، قال الواحدي: "يريد: ادع لهم، معنى الصلاة في اللغة: الدعاء، وهذا دليل على أن السنة للإمام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق، ... وقال رسول الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى))^(٣) لما أتاه أبو أوفى بصدقته"^(٤).

(١) تفسير السمعاني (٣/ ٤٢٨). ويُنظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٤١٨، ٤١٩).

(٢) يُنظر: أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٢٣٨، ٢٣٩).

(٣) رواه البخاري (١٤٩٧) ومسلم (١٠٧٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما.

(٤) التفسير البسيط (١١/ ٣٦).

ضوابط في التعامل مع الهدايا القرآنية

أنزل الله كتابه ليبين الحق من الباطل، وليهتدي به الناس، والمؤمنون يتدبرونه، ويتبعون هداياته، والذين في قلوبهم زيغ يلحدون في آياته، ويتبعون ما تشابه منه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]، وهذه ضوابط مهمة في استخراج الهدايا القرآنية والتعامل معها:

- ١- التزام الطرق الصحيحة لمعرفة التفسير، وهي خمس طرق:
 - أ- تفسير القرآن بالقرآن.
 - ب- تفسير القرآن بالسنة النبوية.
 - ج- تفسير القرآن بأقوال الصحابة الذين أخذوا العلم عن النبي ﷺ.
 - د- تفسير القرآن بأقوال التابعين الذين أخذوا العلم عن الصحابة رضي الله عنهم.

- هـ - تفسير القرآن بلغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم.
- ٢ - عدم الخوض فيما استأثر الله بعلمه.
- ٣ - عدم الخوض في استخراج الهدايات القرآنية بلا علم ولا أهلية.
- ٤ - الالتزام بضوابط اللغة العربية في فهم الآيات.
- ٥ - الالتزام بفهم المعنى وفق السياق الذي ورد فيه.
- ٦ - جمع الآيات القرآنية في الموضوع الواحد، وفهمها مجتمعة.
- ٧ - تجريد المتدبر نفسه من الهوى، فيتدبر القرآن للاهتمام بهداياته، طالباً رضا الله سبحانه، متبّعاً سبيل الذين أنعم الله عليهم، متجنباً طريق الذين في قلوبهم زيغ ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.
- قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾
- [المائدة: ١٥، ١٦]، وقال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

زَيْعٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا
اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧] ^(١).

(١) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (٢/ ٦٥٧-٦٧٤).

عبارات العلماء عند ذكر الهدايات القرآنية

المفسرون يعبرون عن الهدايات القرآنية بإطلاقات متنوعة^(١)، منها:

- ١ - الهداية: يقول بعض المفسرين: من هداية الآيات كذا.
- ٢ - الدلالة: يقول بعض المفسرين: دلت هذه الآية على كذا، وفي هذه الآية دلالة على كذا، واستُدل بالآية على كذا.
- ٣ - الإرشاد: يقول بعض المفسرين: الآية ترشد إلى كذا.
- ٤ - الفائدة: يقول بعض المفسرين: أفادت هذه الآية كذا، ومن فوائد هذه الآية كذا، ونستفيد من هذه الآية كذا.
- ٥ - البيان: يقول بعض المفسرين: تبين هذه الآية كذا.
- ٦ - الإشارة: يقول بعض المفسرين: أشارت هذه الآية إلى كذا، وفي هذه الآية إشارة إلى كذا.
- ٧ - الفهم: يقول بعض المفسرين: يُفهم من هذه الآية كذا.
- ٨ - الأخذ: يقول بعض المفسرين: يُؤخذ من هذه الآية كذا، وأُخذ من

(١) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (١/ ٥٨-٧٠)، المبادئ العشرة في الهدايات لفخر الدين الزبير (ص: ٣١-٣٦).

هذه الآية كذا.

- ٩ - الإيماء: يقول بعض المفسرين: في الآية إيماء إلى كذا.
 - ١٠ - التنبيه: يقول بعض المفسرين: في الآية تنبيه على كذا.
 - ١١ - الإيحاء: يقول بعض المفسرين: في الآية إيحاء على كذا.
 - ١٢ - التضمنين: يقول بعض المفسرين: تضمنت الآية كذا وكذا.
 - ١٣ - المقصود: يقول بعض المفسرين: المقصود من الآية كذا.
 - ١٤ - الأصل: يقول بعض المفسرين: هذه الآية أصل في كذا.
 - ١٥ - اللطائف: يقول بعض المفسرين: من اللطائف في الآية كذا وكذا.
- ولا تخلو غالب كتب التفسير القديمة والحديثة من ذكر هدايات قرآنية،
ومن أكثر كتب التفسير ذكرًا للهدايات القرآنية:

تفسير محمد بن جرير الطبري، وتأويلات أهل السنة للماتريدي، ولطائف الإشارات للقشيري، والكشاف للزمخشري، والمحزر الوجيز لابن عطية، والتفسير الكبير للرازي، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن تيمية، والبحر المحيط لأبي حيان، وتفسير ابن القيم، وتفسير ابن كثير، ونظم الدرر للبقاعي، وقطف الأزهار والإكليل في استنباط التنزيل كلاهما للسيوطي، وفتح القدير للشوكاني، وروح المعاني للألوسي، ومحاسن التأويل للقاسمي، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وتفسير السعدي، وتفسير ابن عاشور، وفي ظلال القرآن لسيد قطب،

وأضواء البيان والعذب النмир كلاهما للشنقيطي، وزهرة التفاسير لمحمد أبو
زهرة، وتفسير الشعراوي، وتفسير ابن عثيمين، ومعارج التفكير لعبد الرحمن
حبنكة الميداني، والتفسير المنير للزحيلي، وأيسر التفاسير للجزائري.
ومعلوم أن بعض هذه التفاسير فيها خلل في العقيدة، وبعض مؤلفيها من
المعتزلة أو الأشاعرة أو الصوفية، لكنها مفيدة للمتخصصين في التفسير، لا
سيما في الهدايات القرآنية.
وفي هذا العصر جهود مباركة في علم الهدايات القرآنية كما تقدم بيانه في ذكر
نشأة علم الهدايات القرآنية، والله الموفق.

الفرق بين الهدايات القرآنية الجزئية والكلية

الهدايات القرآنية الكلية تجمع ما تفرق من هدايات جزئية، فهي كالقواعد الفقهية التي تجمع كثيرًا من المسائل الفقهية الفرعية، وتُستخرج الهدايات الكلية من سورة واحدة أو من عدة آيات متتالية أو من عدة سور، وقد يعد بعض الباحثين الهداية الكلية هداية جزئية ولا مشاحة في الاصطلاح.

والفرق بين الهدايات القرآنية الجزئية والكلية يتبين فيما يلي:

- ١ - الهدايات الكلية تدرج تحتها هدايات جزئية كثيرة.
- ٢ - الهدايات الكلية يُنص عليها غالبًا بالعموم.
- ٣ - الهدايات الكلية واضحة غالبًا، ودلالاتها ظاهرة، بخلاف الهدايات الجزئية التي يكون كثيرٌ منها بطريق الاستنباط والدلالة الخفية^(١).

مثال بعض الهدايات الكلية التي تدل عليها آيات كثيرة في سور متعددة:

- ١ - توحيد الله وإخلاص العبادة لله والتحذير من الشرك.
- ٢ - اتباع الرسول ﷺ ووجوب طاعته والحذر من مخالفته.

(١) يُنظر: طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها لطفه عابدين (ص: ٢٥٩، ٢٦٠).

- ٣- الثناء على الصحابة رضي الله عنه وتزكيتهم ووجوب الإيمان كإيمانهم واتباعهم بإحسان.
- ٤- وجوب اتباع دين الإسلام وتحكيمه.
- ٥- تقوى الله والاستعداد للقاءه بالأعمال الصالحة.
- ٦- الحث على عبادة الشكر.
- ٧- الحث على عبادة الصبر.
- ٨- الحث على العلم وسؤال أهل العلم.
- ٩- الحث على حسن الأخلاق والإحسان والرحمة بالخلق.
- ١٠- الجهاد في سبيل الله.

نماذج من الهدايات القرآنية

(١)

من الهدايات القرآنية التي يمكن أن نستفيد منها من قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩] ما يلي^(١):

١ - رحمة الله بنبيه وبالمؤمنين، فقد رحم نبيه بتوفيقه لحسن الخلق، وجعل ذلك سبباً لصلاح أصحابه^(٢).

٢ - رحمة الله لبنبيه نعمة عظيمة من الله وحده^(٣).

(١) يُنظر: الهدايات القرآنية المستنبطة من قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩] للمؤلف، مجلة تدبر، العدد (٧)، السنة الرابعة، السعودية، محرم ١٤٤١هـ، (ص: ٩٣ - ١٣٥).

(٢) يُنظر: تفسير ابن جرير (١٨٦/٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (١/٥٣٣)، تفسير الراغب الأصفهاني (٣/٩٥٠).

(٣) يُنظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٤٥)، التفسير المظهر (٢/١٦١)، فتح القدير للشوكاني (١/٤٥١).

- ٣- الترغيب في حسن الخلق والرحمة بالخلق، والترهيب من ضد ذلك،
فثمرة اللين المحبة والاجتماع، وضده يُسبب التفرق والاختلاف^(١).
- ٤- وجوب استعمال اللين والرفق وترك الفظاظة والغلظة في الدعوة إلى الله^(٢).
- ٥- حسن خلق الرؤساء والمقدمين يرغب الناس في الالتفاف حولهم وطاعتهم،
والخلق السيئ ينفر الناس عن الخير، ويبغضهم لرئيسهم كائنا من كان^(٣).
- ٦- مما يعين الداعية على تبليغ تكاليف الله إلى الخلق ميل قلوب الناس إليه^(٤).
- ٧- لا يوفق لحسن الخلق إلا الله وحده، فلا غنى لأحد عن التعرض لرحمة الله
العظيمة^(٥). قلت: وفي الحديث: ((وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي
لَأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ))^(٦).
- ٨- من كان ذا فضل وله سوابق خير فهو أولى من غيره بالعفو عن الناس

(١) يُنظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤٠٨/٣)، نظم الدرر للبقاعي (١٠٧/٥).

(٢) يُنظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٤٥/٢).

(٣) يُنظر: التفسير المظهر (١٦١/٢)، فتح القدير للشوكاني (٤٥١/١).

(٤) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٧/٩) غرائب القرآن للنيسابوري (٢٩٢/٢).

(٥) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٧/٩) تفسير القرطبي (٢٤٨/٤).

(٦) رواه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وتحمل أذاهم^(١).

٩ - على المسلم أن يعفو عمن قصّر في حقه، ويستغفر لمن قصّر في حق الله^(٢).

١٠ - جميع أفعال العباد بقضاء الله وقدره، فحسن خلق النبي مع الخلق بسبب رحمة الله وتقديره^(٣).

١١ - اللين والعفو عن الأتباع مع كبر جنايتهم أعظم في حسن الخلق^(٤).

١٢ - يستفاد من الجمع بين نهي الله نبيه في هذه الآية من الغلظة في تعامله مع المؤمنين، وأمره بالغلظة على الكافرين والمنافقين في قوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] أن اللين إنما يُشرع إذا لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله، وخلا من التساهل في أمر الدين^(٥).

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٧/٩) تفسير القرطبي (٤/٢٤٨).

(٢) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ١٥٤).

(٣) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٦/٩، ٤٠٧).

(٤) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٦/٩).

(٥) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٨/٩) البحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٠٨)، التحرير

والتنوير لابن عاشور (٤/١٤٤).

١٣ - يستفاد من ذلك أيضًا: أن طرفي الإفراط والتفريط مذمومان، والفضيلة في الوسط، فورود الأمر بالتغليظ تارة، وأخرى بالنهي عنه، إنما كان لأجل أن يتباعد عن الإفراط والتفريط^(١).

١٤ - على القائد الحكيم أن لا يُكثِر من لوم جنده على أخطائهم الماضية؛ لأن كثرة اللوم والتعنيف تولّد اليأس، وقد تسبب تفرقهم من حوله هيبة منه وحياء^(٢).

١٥ - الشدة في غير موضعها تُفرّق ولا تجمع، وتُضعّف ولا تُقوّي^(٣).

١٦ - كمال حال العبد في تخلّقه بأخلاق الله، فالله هو العفو، وأمر نبيه بالعفو^(٤).

١٧ - كمال رحمة الله بالصحابة، حيث عفا عنهم، وأوجب على رسوله أن يعفو عنهم في الحال^(٥).

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٨/٩)، تفسير ابن عرفة (٤٣٦/١)، تيسير اللطيف المنان للسعدي (٣١٢/١).

(٢) يُنظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤٠٨/٣)، زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة (٣/١٤٧٤)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٣١٦/٢).

(٣) يُنظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٣١٦/٢).

(٤) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٨/٩).

(٥) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٨/٩).

١٨ - الحث على المبادرة بالعفو بلا تأخير^(١).

١٩ - في الآية دلالة على أن الله يعفو عن أصحاب الكبائر، فالفرار من الزحف كبيرة، ومع ذلك عفا الله عن الصحابة الذين فروا يوم أحد، وأمر نبيه أن يستغفر لهم^(٢).

٢٠ - دلت الآية على أنه تعالى يشفع نبيه محمداً في الدنيا في حق أصحاب الكبائر، فلأن يشفعه في حقهم يوم القيامة أولى^(٣). قلت: في هذه الهداية والتي قبلها ردٌ على الخوارج والمعتزلة.

٢١ - يستفاد من الآية التغاضي عن هفوات الكرام، فلكل جواد كبوة^(٤).

٢٢ - دلت الآية على أن النبي ﷺ كان مأموراً بالاجتهاد إذا لم ينزل عليه الوحي، فالاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة، ولهذا كان مأموراً عليه الصلاة والسلام بالمشاورة^(٥).

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٨/٩).

(٢) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٨/٩).

(٣) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٨/٩).

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٧/٤).

(٥) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤١٠/٩).

٢٣- دلت الآية على أن ما لا نص فيه من الحوادث فطريق معرفة حكمه الاجتهاد وغالب الظن^(١).

٢٤- إجماع الصحابة حجة؛ لأن الله تبارك وتعالى أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه، فدل ذلك على أنهم مجتهدون، فإذا اجتمعوا على رأي فيجب اتباعهم وعدم مخالفتهم^(٢).

٢٥- يجب على العبد أن يعتمد على الله طلباً لتوفيقه، وأن لا يعتمد على المشاورة ولا على أحد غير الله، فإن الأصل للعبد لا يعلمه ويوفق إليه إلا الله وحده، لا العبد ولا من يشاؤه^(٣).

٢٦- يجب على العبد أن لا يغتر بنفسه، فقد أمر الله تعالى نبيه -وهو خير الخلق وأزكاهم- أن يتوكل عليه^(٤). قلت: وفي الحديث: ((يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ

(١) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٥٢).

(٢) يُنظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢/ ٥١٦)، أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٥٢).

(٣) يُنظر: تفسير السمعاني (١/ ٣٧٣)، الكشف للزمخشري (١/ ٤٣٢)، التفسير الكبير

للرازي (٩/ ٤١٠).

(٤) يُنظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٢/ ٣١٩).

أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ))^(١).

٢٧- من التوكل على الله الأخذ بالأسباب الشرعية، فقد أمر الله نبيه بالمشاورة -وهي سبب- مع أمره له بالتوكل، فليس التوكل بإهمال التدبير والإعراض عن الأسباب^(٢).

٢٨- من عزم على أمر بعد المشاورة فليمض فيه متوكلاً على الله، ولا يتأخر ولا يتردد ولا يضعف، ولا يشاور فيه مرة أخرى، إلا أن يجدَّ أمرٌ لم يكن في الحساب، ولا يرده عنه خوف عاقبة^(٣).

٢٩- الأخذ بأسباب النجاح لا يكفي للنجاح إلا بتوفيق الله؛ لأن الموانع والعوائق كثيرة، فلا بد من التوكل على الله بعد العزم على الفعل، وعدم

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠٣٣٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الحاكم في المستدرک (٢٠٠٠)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٢٧).

(٢) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٩/٤١٠). تفسير ابن عرفة (١/٤٣٧).

(٣) يُنظر: الكشف للزمخشري (١/٤٣٢)، الرسالة التبوكية لابن القيم (ص: ٧٦)، نظم الدرر للبقاعي (٥/١٠٨)، تفسير المنار لمحمد رضا (٤/١٦٩)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٤/١٥١)، زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة (٣/١٤٧٩).

الاكتفاء بالأسباب^(١).

٣٠- المشاورة عبادةً واجبةً لأمر الله بها في الآية، وكل ما أمر الله به ففيه فوائد كثيرة، ومن فوائد المشاورة: معرفة خير الأمور وشرها، والتوفيق للصواب، وتطبيب نفوس الأتباع، والرفع من أقدارهم، والأمن من عتبتهم، وعدم استبداد ولي الأمر برأيه، والتواضع وحسن الخلق، وتعويد الأمة على النظر في شؤونها، وتنشيط الأمة في السعي لتحقيق مصالحها حين يعلم أهل الخبرة والشأن أن لهم حقاً في المشاورة^(٢).

٣١- مراعاة العرف فيما لا يخالف الشرع، فقد أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه على عادة العرب في المشاورة^(٣).

٣٢- يستفاد من الآية عدم تعنيف المجتهدين إذا اختلفوا في الرأي؛ لأن الآراء

(١) يُنظر: تفسير المنار (١٦٨/٤) تفسير الشعراوي (٣/ ١٨٤١).

(٢) يُنظر: الكشف للزمخشري (١/ ٤٣٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٥٣٤)، التفسير الكبير للرازي (٩/ ٤٠٩)، البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٤٠٨-٤١٠)، زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٢٦٨)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ١٥٤).

(٣) يُنظر: البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٤٠٨).

تختلف عند المشاورة^(١).

٣٣- أهمية التعاون على البر والتقوى، ومن ذلك التشاور لمعرفة الأصلح في الأمور التي لا نص فيها^(٢).

٣٤- في الآية بيان فضل الله على التائب من هذه الأمة، وأن فضله أعظم من عمل العامل، فالصحابة لما أذنبوا في غزوة أحد عفا الله عنهم، وأمر رسوله بمشاورتهم، ولم ينقص درجتهم بذنبهم^(٣).

٣٥- الإسلام شامل لأمر الدين والدنيا، وفيه كل ما يصلح الناس في أمورهم السياسية وغيرها، فقد أمر الله ولي الأمر بمشاورة أتباعه في أمور السياسة والحرب ونحو ذلك مما ليس فيه نص، ولا يُشاور في العقائد ولا في التحليل والتحريم، فاجتهاد الفقهاء يستند للأدلة لا للآراء^(٤).

(١) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٥٣/٢).

(٢) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٩/٩).

(٣) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٠٩/٩).

(٤) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٥٣/٢)، الكشف للزمخشري (٤٣٢/١) البحر المحيط لأبي حيان (٤٠٩/٣) تفسير المنار لمحمد رضا (١٦٤/٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٩/٤).

٣٦- بيان منزلة الصحابة عند الله تعالى ورضاه عنهم، وعلو قدرهم عند

الرسول وعند المؤمنين؛ لأن الله أمر رسوله بمشاورتهم كلهم^(١).

٣٧- بيان فضل الصحابة في التفافهم حول الرسول وعدم تفرقهم عنه^(٢).

٣٨- لا غنى لولي الأمر عن مشاورة أهل الخبرة في كل أمر أشكل عليه مما

ليس فيه نص ولا إجماع^(٣).

٣٩- المتوكل على الله صادق الإيمان، صحيح الاعتقاد بعظمة الله وشدة

حاجته إليه^(٤).

٤٠- من أسباب نيل محبة الله تعالى: التوكل عليه^(٥).

(١) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٥٢/٢)، أحكام القرآن لابن العربي (٣٩١/١)،

التفسير الكبير للرازي (٤٠٩/٩).

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٦/٤).

(٣) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٨٦/٢٨)، حاشية الشهاب على تفسير

البيضاوي (٧٥/٣).

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥٢/٤).

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥٢/٤).

وظهرت لي بعض الهدايات في الآية لم أجد من صرّح بذكرها من المفسرين، وهي ما يلي:

١ - تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم ليقوموا بشكرها، فقد ذكّر الله المؤمنين برحمة الله لنبيه وأصحابه، وجمع كلمتهم، وعدم تفرقهم، وأمر نبيه بالاستغفار لهم.

٢ - ينبغي للعالم والداعية أن يبين للناس مصالح الواجبات ومفاسد المحرمات ليرغبهم في امتثال الأمر والنهي، فقد بين الله لنبيه مصلحة ليه مع أصحابه، ومفسدة الفظاظة والقسوة لو حصلت منه.

٣ - التعليم بافتراض ما لم يحصل، لقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾.

٤ - التنفير من المعصية التي لم تقع بتعدد مفاسدها إن وقعت، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ﴾.

٥ - التشجيع على الفضائل بالثناء على أصحابها ليستمروا عليها، فقد أثنى الله على نبيه بليته مع أصحابه.

٦ - استثمار الخطأ في التعليم والنصح، فخطأ الصحابة في غزوة أحد صار درساً للأمة، فعلم الله القادة العفو عن أخطاء الأتباع الصادقين، وعدم إقصائهم بسبب أخطائهم، ورغب في خلق اللين والرفق.

٧ - جعل الله سنناً كونية لا تحابي أحداً، فمن كان فظاً غليظ القلب على

أصحابه فسيتفرون عنه ولو كان خير الناس.

٨- أهمية سؤال العبد ربه الثبات على دينه، فلا أحد يأمن البلاء والفتنة، فلو لا رحمة الله بالصحابة لانفضوا من حول النبي عليه الصلاة والسلام، فمن يأمن البلاء بعدهم؟!

٩- الحرص على تكثير الأتباع على الحق، والحذر مما ينفروهم ويفرقهم.

١٠- الدين مبني على جلب المصالح وتكميلها، ودفع المفاسد وتقليلها، فمن أعظم المصالح اجتماع الكلمة على الحق، ومن أعظم المفاسد التفرق والاختلاف.

١١- لا غنى لأحد عن النصح والتذكير بالخير ولو كان أكمل الناس، فقد ذكّر الله نبيه بهذه الآية.

١٢- لا يجوز أن يُدعى الرسول من دون الله، فقد أمره الله بدعائه، فإن الاستغفار طلب المغفرة من الله.

١٣- لا يغفر الذنوب إلا الله، فلا يجوز أن يُسأل أي مخلوق أن يغفر الذنوب.

١٤- مشروعية استغفار المسلمين بعضهم لبعض، بدليل أمر الله تعالى نبيه بالاستغفار للمؤمنين.

١٥- يستفاد من الآية أن الطريقة المثلى في تعامل كل مسئول مع رعيته حتى الزوج مع زوجته وأولاده هي العفو عن أخطائهم والاستغفار لهم

ومشاورتهم فيما يهمهم.

١٦ - إعطاء صاحب الحق حقه - ولو كان حقاً معنوياً - وإن لم يطلبه، فقد أمر الله نبيه أن يشاور أصحابه وإن لم يسألوه، فهو حق لهم.

١٧ - عدم التوقف عن طلب الزيادة من العلم، فما يجهله الإنسان أكثر مما يعلمه، فقد أمر الله تبارك وتعالى نبيه أن يشاور أصحابه، ليستفيد مما عندهم من علم وخبرة.

١٨ - المفضول قد يعلم ما لا يعلمه الفاضل، حيث أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه وهم دونه في الفضل والعلم، فقد يخطر ببال بعض الأتباع من الرأي السديد ما لا يخطر ببال المتبوع الفاضل.

١٩ - مشروعية الاجتماع حول العلماء ومجالستهم لأخذ العلم عنهم.

٢٠ - الصحابة أعلم الأمة لملازمتهم النبي ﷺ وأخذهم العلم عنه مباشرة.

٢١ - مشروعية جبر المصاب وتطبيب القلوب حيث أمر النبي بمشاورة أصحابه بعد انهزامهم في غزوة أحد.

٢٢ - الصحابة الكرام ليسوا معصومين، فقد يقع منهم الخطأ؛ ولذلك أمر الله نبيه بالاستغفار لهم.

٢٣ - من كثر خيرهِ وعُلم فضله فهو أهلٌ للعفو عن سقطاته النادرة؛ ولذلك أمر الله نبيه بالعفو عن أصحابه والاستغفار لهم لما لهم من الفضل.

٢٤- الحث على المبادرة بالعمل الصالح بلا تأخير؛ لأن الفاء في قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ للتعقيب.

٢٥- يستفاد من الجمع بين هذه الآية وآية منع النبي ﷺ من الاستغفار للمنافقين أن كل من استغفر لهم الرسول من أصحابه فهم بريئون من النفاق، كالأنصار الذين استغفر لهم الرسول، ولم ينهه الله عن ذلك، بل أمره بذلك، وفي هذا رد على الرافضة الذين يرمون جميع الصحابة بالنفاق.

٢٦- يستفاد من الآية معنى المثل الحكيم: ترك العادة عداوة، فلو ترك النبي ﷺ مشاورة أصحابه بعد غزوة أحد بسبب ما جرى منهم لدل ذلك على بقاء أثر ذنبهم في قلبه، وعدم عفوهم عنهم، فأمره الله بمشاورتهم وعدم قطع ما عودهم من المشاورة.

٢٧- يستفاد من الآية تمكين أهل الاختصاص والشأن من أفراد المجتمع من الإبداع والعطاء لنفع الأمة، فقد أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه، فالمشاورة فرصة لإظهار التميز والإبداع.

٢٨- مشروعية مخالطة الناس، والصبر على أذاهم كما كان حال النبي عليه الصلاة والسلام.

٢٩- مشروعية التعاون على الخير، وترك العزلة السلبية، فقد كان الصحابة

حول النبي ﷺ، وأمره الله بمشاورتهم.

٣٠- اختلاف الناس في التفكير والرأي وتقدير المصالح والمفاسد، ففي المشاورة تتلاقح الأفكار المختلفة.

٣١- يستفاد من الآية ومما علم من السيرة النبوية أنه عليه الصلاة والسلام كان يعمل بكتاب الله، فقد حَفِظَ عنه العفو عن أصحابه والاستغفار لهم ومشاورتهم في مواطن كثيرة.

٣٢- من عزم على أمر نافع فليتوكل على ربه، ولا يلتفت إلى من يثبطه؛ لأمر الله بالتوكل عليه.

٣٣- على المسلم ترك الوسوس والأوهام التي تثبطه عن فعل الخير، فيُقدِّم على فعل الخير الذي عزم عليه بعد الاستشارة متوكلاً على الله غير مبال بما يصيبه، فمن هاب خاب، ولكل أجل كتاب.

٣٤- على المسلم ترك الكسل، وعليه الحرص على ما ينفعه ودفع ما يضره.

٣٥- عظم قدر منزلة محبة الله لعبده، حيث رَغِبَ الله عباده في التوكل عليه بكونه يحب المتوكلين.

٣٦- اصطياذ الفرص للموعظة والنصيحة.

٣٧- اغتنام الفرص في كل شيء وعدم إضاعتها.

(٢)

من الهدايات القرآنية التي يمكن أن نستفيد منها من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ما يلي^(١):

١ - يستفاد من مناسبة الآية لما قبلها أن من الغفلة المذمومة عدم العلم بأسماء الله، والجهل بمعانيها، وترك دعاء الله بها، وأن ذلك من أسباب دخول النار^(٢).

٢ - يستفاد من مناسبة الآية لما قبلها أن عدم الاعتبار بآيات الله، وعدم التفقه في تزكية الأنفس بالعلم الصحيح يسبب الغفلة التامة عن ذكر الله وشكره والثناء عليه^(٣).

(١) يُنظر: الهدايات القرآنية المستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] للمؤلف، مجلة تدبر، العدد (١١)، السنة السادسة، السعودية،

محرم ١٤٤٣ هـ، (ص: ٢١ - ٧٩).

(٢) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (٨/ ١٧٥).

(٣) يُنظر: المنار لرشيد رضا (٩/ ٣٦١).

- ٣- يستفاد من مناسبة الآية لما قبلها أن من ابتلي بالغفلة وعدم الانتفاع بقلبه وبصره وسمعه أن يدعو الله بأسمائه الحسنى أن يهديه، ويصلح شأنه^(١).
- ٤- يستفاد من مناسبة الآية لما قبلها أن من أسباب الضلال والغفلة الجهل بأسماء الله وصفاته، وعليه فالعلم بأسماء الله وصفاته من أعظم ما يعصم العبد من الضلال والغفلة، لأنها تثمر تعظيم الله، والمعرفة باطلاعه على عبادته، وقدرته عليهم^(٢).
- ٥- أقطع أحوال المشركين هو حال إشراكهم بالله غيره؛ لأن في الشرك بالله إبطالا لصفة الوحدانية الخاصة بالله، يؤخذ من مناسبة توسط هذه الآية في خلال آيات ذم المشركين^(٣).
- ٦- في الشرك تعطيل كثير من صفات الله سبحانه، يؤخذ مما أخذت منه الهداية السابقة^(٤).

(١) يُنظر: التوسل للألباني (ص: ٣٠).

(٢) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٢٣٣، ٢٣٤)، تفسير السعدي (ص: ٣٥)، فتح

رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين (ص: ١٢٢).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩ / ١٨٥).

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩ / ١٨٥).

٧- كما أن ذات الله سبحانه وتعالى أكمل الذوات، فأسماءه وصفاته أكمل الأسماء والصفات^(١).

٨- كثرة أسماء الله الحسنى وفضلها وشرفها.

٩- أهمية العلم بأسماء الله وصفاته، فهي تزيد الإيمان، وتحث الإنسان على تقوى الله، والاجتهاد في عبادته، وطلب مرضاته^(٢).

١٠- تأكيد استحقاق الله أسماءه الحسنى، وثبوتها له بلا شك، يؤخذ من معنى اللام الداخلة على لفظ الجلالة المفيدة للاستحقاق، ومن تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٣).

١١- كثرة أسماء الله الحسنى تدل على عظمته، وكمال ذاته وصفاته، وتفيد أن الكمال المطلق له سبحانه وحده دون ما سواه^(٤).

١٢- لا ينبغي الاختصار على تعلم بعض أسماء الله الحسنى، بل ينبغي تعلمها

(١) يُنظر: معارج التفكير للميداني (٥/ ٥٥).

(٢) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٢٣٣، ٢٣٤)، تفسير السعدي (ص: ٣٥)، فتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين (ص: ١٢٢).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٨٦).

(٤) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (٨/ ١٧٦).

كلها بقدر الاستطاعة، ومن الخطأ والتقصير ذكر بعضها في كتب الاعتقاد، وعدم حث الطلاب على حفظها^(١).

١٣- فضل العلم بأسماء الله الحسنى، ويؤخذ منه فضل من حفظ القرآن الكريم؛ لأن القرآن متضمن لأسماء الله الحسنى^(٢).

١٤- الأسماء الحسنى ليست إلا لله وحده، وكذلك الصفات الكاملة ليست إلا لله وحده، وكل ما سواه فهو فانٍ ناقص^(٣).

١٥- الاسم للمسمى، ولا يقال: الاسم هو المسمى ولا الاسم غير المسمى، فإن الخلاف في هذا من الأمور الحادثة، والصواب ترك الخوض في هذه المسألة الكلامية، والاكتفاء بما أخبر الله في هذه الآية من كون أسمائه له، ولم يقل: هي نفس المسمى ولا هي غيره^(٤).

١٦- وصف أسماء الله بالحسنى يدل على ثبوت صفات كمال حقيقي لكل اسم منها^(٥).

(١) يُنظر: إيثار الحق لابن الوزير (ص: ١٥٧، ١٥٨)، روح البيان لحقي (٣/ ٢٨٥).

(٢) يُنظر: رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز للرسعني (٢/ ٣١٧).

(٣) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (١٥/ ٤١٤)، نظم الدرر للبقاعي (٨/ ١٧٥).

(٤) يُنظر: صريح السنة للطبري (ص: ٢٦)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٨٧، ٢٠١).

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٨٧).

١٧- أسماء الله سبحانه وتعالى كلها حسنى، بالغة الغاية في حسن الألفاظ والمعاني، والدلالة على كمال الصفات والعظمة، والتنزه عن شوائب النقص^(١).

١٨- لا يوجد في الأسماء أحسن من أسماء الله، ولا يقوم غيرها مقامها، ولا يسد غيرها مسدها، ولا يؤدي معناها أي لفظ من كل وجه^(٢).

١٩- اسم الله الأعظم هو الله؛ لأنه متضمن كل اسم، وجميع الأسماء الحسنى تابعة له، مضافة إليه، ولا يضاف اسم الله إليها، وقيل: المراد بالاسم الأعظم جميع أسماء الله الحسنى، فكلها عظيمة، وقيل غير ذلك، والأصح عند الباحث هو القول الأول، وقد نُسب إلى أكثر العلماء، وإلى المحققين، والله أعلم^(٣).

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤١٢/١٥)، تفسير القرطبي (٣٢٦/٧)، إيثار الحق لابن

الوزير (ص: ١٦٦)، نظم الدرر للبقاعي (١٧٥/٨).

(٢) يُنظر: فقه الأديعة والأذكار للعباد (١/١٣٣).

(٣) يُنظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص: ٢٤، ٢٥)، التوحيد لابن منده (٢/٢١)،

أحكام القرآن لابن العربي (٣٤٣/٢)، الروض الأنف للسهيلى (١/٢٠٢-٢٠٧)،

التفسير الكبير للرازي (١/١١١)، فتح الباري لابن حجر (١١/٢٢٤، ٢٢٥)، السراج

- ٢٠- كل اسم ليس حسناً في لفظه أو معناه، فليس من أسماء الله، كالضار^(١).
- ٢١- كل اسم لا معنى له أو يدل على صفة نقص فليس من أسماء الله الحسنى^(٢).
- ٢٢- الأسماء السوآى للكفار ولمعبوداتهم الذين استحقوا النار بتعطيلهم حواسهم^(٣).
- ٢٣- تعريف الله عباده بأسمائه الحسنى رحمة بهم؛ ليعرفوا قدره، ويدعوه بها، ولم يكلفهم معرفتها بعقولهم^(٤).
- ٢٤- في قوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ تفريع عن كونها أسماء الله، وعن كونها حسنى، أي: فلا حرج في دعاء الله بها؛ لأنها أسماء متعددة لمسمى واحد، ولأنها حسنى^(٥).

- المنير للشربيني (٦/١)، روح البيان لحقي (٣/٢٨٤)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/٣٥)، روح المعاني للألوسي (٥/١١٥).
- (١) يُنظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢/١٧٢)، إيثار الحق لابن الوزير (ص: ١٦٢).
- (٢) يُنظر: تفسير السعدي (ص: ٣٠٩).
- (٣) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (٨/١٧٥).
- (٤) يُنظر: التوحيد لابن منده (٢/١٤)، لطائف الإشارات للقشيري (١/٥٩٠)، تفسير الشعراوي (٧/٤٤٨٢).
- (٥) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/١٨٧).

٢٥- وجوب دعاء الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی، فالأصل في الأمر بالدعاء بها الوجوب^(١).

٢٦- جواز أن يدعى الله بكل ما دل على صفاته وعلى أفعاله، يؤخذ مما أخذت منه الهداية السابقة بالإشارة^(٢).

٢٧- مشروعية افتتاح الدعاء أو ختمه باسم من أسماء الله تعالى الحسنی المناسبة للدعاء^(٣).

٢٨- دعاء الله بأسماء الله المناسبة للحال، فيطلب الداعي بكل اسم ما يليق به، كأن يقول الفقير: يا رزاق ارزقني، يا وهاب اعطني^(٤).

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (١٥/ ٤١٥)، التفسير المنير للزحيلي (٩/ ١٧٦)، أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢٦٦).

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٨٧).

(٣) يُنظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لابن القيم (ص: ٣١٨).

(٤) يُنظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٥١)، تفسير القرطبي (٧/ ٣٢٧). وقد حقق الشنقيطي أنه يجوز أن يقول الداعي: يا حكيم اغفر لي، أو: يا رزاق ارحمني؛ لأن أسماء الله سبحانه كلها متلازمة، وكل صفة في واحد منها تستلزم جميع الصفات الأخرى لعظمة صفات الله تبارك وتعالى، واستلزام كل واحدة منها غاية الكمال والجلال. يُنظر: العذب المنير للشنقيطي (٤/ ٣٥٢).

٢٩- دعاء الله تعالى بأسمائه الحسنی فی کل ما یحتاج المسلم إلیه من الأشياء
الکبيرة والصغيرة^(١)، یؤخذ من إطلاق الأمر بالدعاء، من غیر تقييد بشيء
کبیر أو صغیر.

٣٠- مشروعیة دعاء الله بأسمائه الحسنی على سبیل التفصیل أو على سبیل
الإجمال من غیر تفصیل، کأن یقول: أسألك بأسمائك الحسنی^(٢).

٣١- دعاء الله بأسمائه الحسنی تقرب العبد من الله، یؤخذ من كونها أسماء
کاملة، فمن دعا الله بها أفاض علیه من کمالاتها^(٣).

٣٢- مشروعیة الثناء على الله بذكر أسمائه، سواء عند طلب الحاجات أو
لمجرد التعظیم^(٤).

٣٣- مشروعیة قول الداعي: یا الله، یا رحمن، وضلال من ینکر ذلك، قال
تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ

(١) يُنظر: شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٣٧٤).

(٢) يُنظر: معارج التفكير للميداني (٥/ ٥٥).

(٣) يُنظر: تبصير الرحمن للمهايمي (١/ ٢٧٤).

(٤) يُنظر: أدب النفس للحكيم الترمذي (ص: ١٣)، المنار لرشيد رضا (٩/ ٣٦١).

الْحُسْنَى ﴿[الإسراء: ١١٠]﴾^(١).

٣٤- وجوب تسمية الله بأسمائه الحسنی^(٢).

٣٥- معرفة كمال الله وما يجب له من أسمائه الحسنی من تمام التوحيد؛ لأن كمال الذات بأسمائها الحسنی، وصفاتها الشريفة، ولا كمال لذات لا اسم لها ولا صفة^(٣).

٣٦- الحث على فهم أسماء الله الحسنی، فدعاء الله يتحقق تحققا كاملا إذا علم الداعي معاني أسمائه سبحانه^(٤).

٣٧- مذهب الملاحدة في مدح الرب بنفي أسمائه وصفاته من أعظم مكائدهم للإسلام، فقد عكسوا المعلوم شرعا وعقلا^(٥).

٣٨- من أفضل الدعاء دعاء الله بأسمائه الحسنی كما أمر الله بذلك^(٦).

(١) يُنظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٢٠٤).

(٢) يُنظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ٤٣)، إيثار الحق لابن الوزير (ص: ١٥٧).

(٣) يُنظر: إيثار الحق لابن الوزير (ص: ١٥٧).

(٤) يُنظر: فقه الأدعية والأذكار للعباد (١/ ١٣٥، ١٣٦).

(٥) يُنظر: إيثار الحق لابن الوزير (ص: ١٥٧).

(٦) يُنظر: البسيط للواحدي (٩/ ٤٨٠).

٣٩- دعاء الله بأسمائه الحسنی من أسباب إجابة الدعاء^(١).

٤٠- الحث على ذكر الله والثناء عليه، وعدم الغفلة عن دعائه^(٢).

٤١- التنبيه على أن الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله سبحانه، وعن أسمائه الحسنی، يؤخذ من ختم الآية السابقة بزم الغفلة، والأمر في هذه الآية بدعاء الله بأسمائه الحسنی^(٣).

٤٢- أسماء الله توقيفية، يؤخذ من قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ﴾ بلفظ التعريف، فدل على أنها معلومة بالشرع، فلا يجوز تسمية الله باسم لم يرد منصوصا ولو كان يقتضي مدحا خالصا، ومثل أسمائه صفاته، فهي توقيفية، فلا يجوز وصف الله بصفة لا دليل عليها^(٤).

٤٣- لا يجوز دعاء الله سبحانه وتعالى بغير ما سمى به نفسه أو سماه رسوله

(١) يُنظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٠٥).

(٢) يُنظر: تفسير الشعراوي (٧/ ٤٤٨٣).

(٣) يُنظر: حاشية الطيبي على الكشاف للطيبي (٦/ ٦٨٢).

(٤) يُنظر: البسيط للواحدي (٩/ ٤٧٩)، تفسير السمعاني (٢/ ٢٣٥)، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٥/ ٢٣١)، إيثار الحق لابن الوزير (ص: ٣٠٨)، الإكليل للسيوطي (ص: ١٣١).

عليه الصلاة والسلام^(١).

٤٤ - الحث على معرفة أسماء الله سبحانه وتعالى الحسنی وجمعها وحفظها ومعرفة معانيها ودعاء الله بها، دعاء مسألة، ودعاء عبادة، فدعاء المسألة بأن يسأل الله بها، ودعاء العبادة بالتعبد لله بها، بأن يفهم معنى الاسم الكريم، ثم يديم استحضاره بقلبه، حتى يمتلئ قلبه منه، ويتعبد لله بالاتصاف بما يصلح اتصاف العبد به منها^(٢)، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ))^(٣).

٤٥ - كل من كان وقوفه على أسرار حكم الله في مخلوقاته أكثر كان علمه بمعاني أسماء الله الحسنی أكثر^(٤)، يؤخذ من ذكر الله بعد هذه الآية الأمر بالتفكر في مخلوقات الله.

(١) يُنظر: البسيط للواحدي (٩/٤٨٣).

(٢) يُنظر: مدارج السالكين لابن القيم (١/٤٢٠، ٤٢١)، بدائع الفوائد لابن القيم (١/١٦٤)، القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي (ص: ١٢٨).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧).

(٤) يُنظر: غرائب القرآن للنيسابوري (٣/٣٥١).

٤٦ - فضل ذكر الله وكثرة فوائده، يؤخذ من أمر الله بدعائه والثناء عليه بأسمائه، ومن فوائد الذكر زيادة الإيمان، ومراقبة الله وحبه والخشوع له، والرغبة في ثوابه، والصبر على مصائب الدنيا، وعدم الحزن على ما يفوت المؤمن من متاع الدنيا الفانية^(١).

٤٧ - كرم الله ورحمته بعباده حين أمرهم أن يدعوه بأسمائه، ويرجعوا إليه بالدعاء في مهماتهم^(٢).

٤٨ - وجوب الإخلاص وإفراد الله بالدعاء والعبادة، وحرمة الشرك بدعاء غيره، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٨﴾ [الجن: ١٨]^(٣).

٤٩ - مشروعية دعاء الله بأي اسم من أسمائه، وعدم جواز دعاء أي صفة من صفاته؛ لأن الدعاء عبادة، والعبادة لا تصرف إلا لله وحده المتصف بصفات الكمال^(٤).

(١) يُنظر: المنار لرشيد رضا (٩/ ٣٦١).

(٢) يُنظر: الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (ص: ٩٣).

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٢٥).

(٤) يُنظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ٢٢٧، ٢٧٥، ٣١٥)،

معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد (ص: ٥٦٠).

٥٠- لا يجوز في الدعاء ذكر أي اسم غير أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿قُلْ

أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾

[الإسراء: ١١٠]، وفي ذلك رد على من يدعون الأنبياء والأولياء أو

يسمونهم في الدعاء توسلا إلى الله بذكرهم.

٥١- مشروعية التوسل إلى الله في الدعاء بأسمائه الحسنى^(١).

٥٢- عدم مشروعية التوسل إلى الله في دعائه بأحد من خلقه، يؤخذ من كون الله

أمر عباده أن يتوسلوا إليه في دعائهم بأسمائه الحسنى، ولم يأذن لهم بذكر

غيره في الدعاء.

٥٣- ذم الملحدّين في أسماء الله سبحانه^(٢).

٥٤- حرمة الإلحاد في أسماء الله بالميل بها عن معانيها الصحيحة اللاتقة بالله،

أو بتعطيلها عن صفات الكمال وإنكارها أو إنكار معانيها، أو بتسمية الله

بغير ما سمي به نفسه، أو بتسمية بعض عباده بأسمائه الخاصة به أو

باشتقاق أسماء منها للأصنام أو بإشراك غير الله في معاني أسمائه الخاصة

(١) يُنظر: المنار لرشيد رضا (٣٦١/٩)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٤١/٥).

(٢) يُنظر: بيان تلبّيس الجهمية لابن تيمية (٣٨٥/٥).

به كمن يدعون غير الله ويتوسلون بهم^(١).

٥٥- النهي عن اتباع سبل الملحدين في أسماء الله على مختلف طرائقهم،
وتعدد صور إلحادهم^(٢).

٥٦- من شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه، لميله فيها عن الواجب في حقه
سبحانه^(٣).

٥٧- حرمة ذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه، فربما كان ذلك اللفظ غير لائق
بجلال الله، فيقع في الإلحاد في أسمائه سبحانه^(٤).

٥٨- كما يجب تنزيه الله سبحانه وتعالى عن جميع النقائص فكذلك يجب
تنزيه أسمائه الحسنی^(٥).

٥٩- وجوب الإعراض عن الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته، وبغضهم،

(١) يُنظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (١٠/٥٩٦)، تفسير القرطبي (٧/٣٢٨)، جامع
الرسائل لابن تيمية (١/١٧١)، المنار لرشيد رضا (٩/٣٦٩-٣٧٤).

(٢) يُنظر: معارج التفكير للميداني (٥/٥٧).

(٣) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (٨/١٧٦).

(٤) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (١٥/٤١٧).

(٥) يُنظر: لباب التأويل للخازن (٢/٢٧٦).

والبراءة منهم، وترك مجالستهم^(١).

٦٠- عدم مجادلة الملحدين في أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته ما داموا مصرين على باطلهم، وعدم المبالاة بهم، ومثلهم جميع الملحدين بمختلف طرائقهم^(٢).

٦١- خطورة مجالسة أصحاب البدع والأهواء من المعطلة والمشبهة الملحدين في أسماء الله، يؤخذ من أمر الله بتركهم للسلامة من شرهم.

٦٢- الحذر من اتباع ما يقول الملحدون في أسماء الله سبحانه^(٣).

٦٣- وجوب ترك الإصغاء لكلام الملحدين في أسماء الله سبحانه؛ لئلا يفتنوا الإنسان بشبهاتهم^(٤).

٦٤- تفويض أمر عقوبة الملحدين في أسماء الله إلى الله في حال العجز عن

(١) يُنظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٢٥، ٣٢٨)، الفواتح الإلهية للنخجواني (١/ ٢٧٥)، لباب التأويل للخازن (٢/ ٢٧٦).

(٢) يُنظر: بحر العلوم للسمرقندي (١/ ٥٧٠)، في ظلال القرآن لسيد قطب (٣/ ١٤٠٢)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٨٩).

(٣) يُنظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٦/ ٣٠١٥).

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٨٩).

عقوبتهم العقوبة الشرعية، فسيتولى عقوبتهم الله سبحانه، يؤخذ هذا من الأمر بتركهم، ومن الإخبار بعقوبة الله لهم^(١).

٦٥- على المسلمين أن لا يحزنوا لإلحاد الملحدين؛ لأن الله سبحانه سيتولى عقوبتهم، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُزُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦]^(٢).

٦٦- الوعيد بالنار للذين يلحدون في أسماء الله وصفاته^(٣).

٦٧- تحذير الملحدين في أسماء الله من عذاب الله^(٤).

٦٨- تنفير المسلمين من الإلحاد في أسماء الله كفعل المشركين^(٥).

(١) يُنظر: روح المعاني للألوسي (٥/ ١١٧)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٩٠).

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٩٠).

(٣) يُنظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (١٠/ ٥٩٩)، تفسير القرطبي (٧/ ٣٢٨، ٣٢٩).

(٤) يُنظر: لباب التأويل للخازن (٢/ ٢٧٦)، تفسير السعدي (ص: ٣٠٩).

(٥) يُنظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٠٥)، تفسير السعدي (ص: ٣٠٩).

- ٦٩- الانحراف عن الوسط مذموم شرعا، يؤخذ من معنى الإلحاد وهو الميل^(١).
- ٧٠- من نفي اسما عن الله لعدم الدليل على كونه من الأسماء الحسنى لا يوصف بالإلحاد في أسماء الله، يؤخذ من قوله: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ﴾ حيث أضاف الأسماء إلى الله، فدل على أن المقصود أسماؤه التي ثبت في الشرع تسميته بها^(٢).
- ٧١- على القول بأن (في) للسببية والتعليل في قوله: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ﴾ يؤخذ منه ذم ووعيد الذين يجعلون أسماء الله الحسنى مظهرا من مظاهر الكفر، ووسيلة للتشنيع على الذين يثبتونها لله سبحانه^(٣).
- ٧٢- يؤخذ من عدم تعيين وقت جزائهم في قوله تعالى: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ أن الله سيعذبهم في الدنيا والبرزخ والآخرة^(٤).
- ٧٣- إطلاق العمل على القول والاعتقاد، فالملحدون في أسماء الله يلحدون

(١) يُنظر: المنار لرشيد رضا (٣٦٩/٩).

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨٩/٩).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨٩/٩).

(٤) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (١٧٧/٨)، معارج التفكير للميداني (٥٧/٥).

فيها بأقوالهم واعتقادهم، فجعل الله ذلك عملا في قوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) ﴿١﴾.

٧٤- إثبات علم الله بأعمال عباده.

٧٥- إثبات البعث بعد الموت والجزاء في الآخرة؛ لأن أصل الجزاء الذي توعده الله به الملحدين سيكون في الآخرة.

٧٦- مجازاة الملحدين بجميع أعمالهم السيئة، من الإلحاد وغيره، يؤخذ من عموم ما الموصولة في قوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) ﴿٢﴾.

٧٧- في ذكر السين دون سوف في قوله سبحانه: ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ إشارة إلى وقوع العذاب في الدنيا لمن شاء الله أن يعجل له العذاب من الملحدين، كما قال سبحانه: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١) [السجدة: ٢١]، يؤخذ هذا من تفريق النحاة البصريين بين السين وسوف في دلالتها على التنفيس، حيث يرون أن

(١) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٩٠).

(٢) يُنظر: قطف الأزهار للسيوطي (ص: ١٠٦٨)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٩٠).

سوف أبلغ تنفيصًا، وأشد تراخيًا^(١).

٧٨- تأكيد عذاب الملحدين، يؤخذ من تأكيد جزائهم بالسين، فهي تفيد التأكيد^(٢).

٧٩- في قوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٨٠) بشارة بنصر الله لرسوله على أعدائه، وقد تحقق ذلك، فهو من معجزات القرآن بالإخبار بالمغيبات التي وقعت كما أخبر^(٣).

٨٠- تجدد الكفر والإلحاد والمعاصي من الكفار، يؤخذ من قوله: ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٨٠) ولم يقل: ما عملوا أو ما يعملون^(٤).

(١) يُنظر: شرح المفصل لابن يعيش (٥/ ٩٥، ٩٦)، مغني اللبيب لابن هشام (ص: ١٨٤)،

همع الهوامع للسيوطي (٢/ ٥٩٤)، معاني النحو للسامرائي (٤/ ٢٦، ٢٧).

(٢) يُنظر: حاشية الطيبي على الكشاف (٦/ ٦٧٧)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٩٠).

(٣) يُنظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ١٠٠).

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٩٠).

(٣)

من الهدايات القرآنية التي يمكن أن نستفيد منها من قول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] ما يأتي^(١):

- ١- من صفات الصالحين الأخذ بالعفو، والأمر بالعرف، والإعراض عن الجاهلين.
- ٢- يؤخذ من الأمر بمكارم الأخلاق بعد ذكر آيات التوحيد وإبطال الشرك أن التوحيد مقدم على الأخلاق، وهي بعده في المرتبة والأهمية^(٢).
- ٣- يؤخذ من مناسبة الآية لما قبلها من ذكر الدعوة إلى الله تعالى أن على الداعي إلى الله سبحانه أن يعفو عمن ظلمه، وأن يأمر الناس بالمعروف، وأن يعرض عن الجاهلين.

(١) قدمت هذا البحث في مؤتمر هدايات القرآن في بناء الإنسان بمكة المكرمة، وهو منشور في موقع مركز مكة للهدى القرآني على هذا الرابط:

https://hidayaa.org/uploads/67890f0fd2a2b_1737035535.pdf

(٢) يُنظر: المنار لرضا (٩/ ٤٤٤).

- ٤- يؤخذ من مناسبة الآية لما قبلها حث المسلمين على قلة المبالاة بجفاء المشركين، والعفو عنهم، مع الاستمرار في دعوتهم، والحرص على هدايتهم^(١).
- ٥- يؤخذ من الأمر بمكارم الأخلاق بعد ذكر حاجة المشركين أن حسن الأخلاق سبب عظيم لدعوة المشركين إلى الإسلام^(٢).
- ٦- بلاغة القرآن وإعجازه في إيجازه المعاني العظيمة في الألفاظ القليلة، فهذه الآية تضمنت قواعد الشريعة في التكاليف، وفي معاملة الناس في جميع الحالات^(٣).
- ٧- اهتمام الإسلام بالآداب الاجتماعية التي يحتاجها الإنسان في معاملة الناس^(٤).
- ٨- في الآية رد على العلمانيين الذين يريدون فصل الدين عن الحياة.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٦/٩).

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي (٣٤٦/٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٢٤٢/٥).

(٣) يُنظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣٦٣/٢)، تفسير القرطبي (٣٤٤/٧)، المنار لرضا

(٩/٤٤٩)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٣١٣).

(٤) يُنظر: العذب النمير للشنقيطي (٤٣٣/٤).

٩- بيان المنهج القويم في معاملة الناس، لا سيما للمتبوعين الذين يخالطون الناس بمختلف طبائعهم وأحوالهم، ويتعرضون لكثير من المواقف والانفعالات^(١).

١٠- الإغضاء عن الضعف البشري، وهذا واجب الأقوياء تجاه الضعفاء.

١١- معاناة الداعي إلى الله حين يدعو الناس إلى الحق^(٢).

١٢- وصية الله لرسوله وأُمته بالأخذ بالعفو، والأمر بالعرف، والإعراض عن الجاهلين، والاستعاذة من نزغات الشياطين^(٣).

١٣- كل شر يصيب الإنسان سببه الإخلال بهذه الوصايا أو ببعضها^(٤).

١٤- الأمر بأخذ ما تيسر من أخلاق الناس، وعدم تكليفهم ما يعسر عليهم من الأخلاق والأموال وغير ذلك^(٥).

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (١٥ / ٤٣٤)، الرسالة التبوكية لابن القيم (ص: ٧٥).

(٢) يُنظر: معارج التفكير للميداني (١١٥ / ٥).

(٣) يُنظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢ / ٤٩٠).

(٤) يُنظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (ص: ٧٥).

(٥) يُنظر: تفسير ابن جرير (١٠ / ٦٤٢)، الوسيط للواحدي (٢ / ٤٣٧).

- ١٥ - الأخذ في اللغة قد يكون معنويًا لا حسيًا، كما في هذه الآية.
- ١٦ - من الحكمة وحسن الأخلاق قبول ما طابت أنفس الناس بأدائه من الحقوق التي عليهم، مما يخف عليهم أدائه، وإن كان أقل مما يجب عليهم^(١).
- ١٧ - عدم المطالبة بالزيادة في أداء الحقوق، والتغاضي عن الحق كرمًا^(٢).
- ١٨ - التخفيف عن الناس بدفع الحرج والمشقة عنهم بما لا يخالف الشرع^(٣).
- ١٩ - معاملة جميع الناس باللطف، وما تقتضيه الحال الحاضرة، بما تنشرح له صدورهم، من توقير الكبير، والحنو على الصغير والضعيف، ومجاملة النظير^(٤).
- ٢٠ - أخذ العفو من الناس فيه تأليف لهم، حتى لا ينفروا^(٥).

(١) يُنظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن للعليمي (٣/٧٨)، زهرة التفاسير لأبي زهرة (٦/٣٠٤٢).

(٢) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠/٣٧١).

(٣) يُنظر: التفسير المنير للزحيلي (٩/٢١٧).

(٤) يُنظر: تيسير اللطيف المنان للسعدي (ص: ٦٩).

(٥) يُنظر: الكشف للزمخشري (٢/١٨٩).

- ٢١- الحث على أخذ العفو مما يسره الله سبحانه وتعالى، والرضا بما كتبه الله سبحانه للعبد من رزق^(١).
- ٢٢- على المعطي أن يعطي السهل الذي يمكنه المداومة عليه^(٢).
- ٢٣- الأمر السهل يمكن المداومة عليه^(٣).
- ٢٤- من الأخذ بالعفو عدم الإلحاح في المسألة.
- ٢٥- من الأخذ بالعفو أن لا ينهى العبد الناس فيما تعدوا فيه الحد عليه^(٤).
- ٢٦- من الأخذ بالعفو ترك التنطع بالبحث عما لا ينبغي البحث فيه^(٥).
- ٢٧- من الأخذ بالعفو ترك التفتيش عن حقائق بواطن الناس^(٦).
- ٢٨- من الأخذ بالعفو التيسير على النفس، وعدم تحميلها ما لا تطيق^(٧).

(١) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (٢٠٢ / ٨).

(٢) يُنظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة (٣٠٤٢ / ٦).

(٣) يُنظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة (٣٠٤٢ / ٦).

(٤) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧١ / ١٦).

(٥) يُنظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢٤٢ / ٢).

(٦) يُنظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢٩٠ / ٢).

(٧) يُنظر: التهذيب في التفسير للجشمي (٢٨٢٢ / ٤).

- ٢٩- من الأخذ بالعفو قبول الاعتذار^(١).
- ٣٠- التوسط في الأمور وترك الإفراط والتفريط^(٢).
- ٣١- عدم قطع الصحبة والمودة بسبب الخصومة الدنيوية.
- ٣٢- التقاطع يقع بين متكبر عن الاعتذار ورافض للغفران.
- ٣٣- سرعة الرجوع إلى إصلاح ذات البين عند حصول الخلاف.
- ٣٤- الحث على عدم التكلف^(٣).
- ٣٥- الحث على ترك الغضب من أجل الدنيا^(٤).
- ٣٦- من الأخلاق الحسنة عدم الاستقصاء، كما قيل: ما استقصى كريم قط^(٥).
- ٣٧- إسقاط ما يمكن إسقاطه من الحقوق من غير ظلم أحد من الناس^(٦).
- ٣٨- عدم التحسس من أخلاق الناس السيئة^(٧).

-
- (١) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٥٠)، تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٢٤٢).
- (٢) يُنظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٥٠)، تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٢٤٢).
- (٣) يُنظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٤٩٠)، تفسير الشعراوي (٨/ ٤٥٣٢).
- (٤) يُنظر: محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٤٢).
- (٥) يُنظر: الوسيط للواحدي (٢/ ٤٣٧).
- (٦) يُنظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٦٠)، التفسير الكبير للرازي (١٥/ ٤٣٤).
- (٧) يُنظر: تفسير ابن جرير (١٠/ ٦٤٠).

- ٣٩- من عز أخوه وصاحبه فليهن له، ولا يشاححه فتقع الشرور^(١).
- ٤٠- التأكيد على العفو بتشبيهه بأمر محسوس يُؤمر المسلم بأخذه وعدم تركه، فالخير والمصلحة فيه، وإن كان الظاهر أن في العفو نقصاً فهو زيادة لمن أخذ به^(٢).
- ٤١- في أخذ العفو أجر عظيم عند الله^(٣).
- ٤٢- الحث على عموم العفو حتى عن المشركين، فاللفظ يعم صور العفو كلها؛ لأن التعريف في كلمة العفو تعريف الجنس المفيد للاستغراق، ولا يخرج عن هذا العموم إلا ما أخرجته الأدلة الشرعية مثل العفو عن المنتهك حرمت الله^(٤).
- ٤٣- ترك التشفي بالانتقام، فمصلحة العفو أعظم من لذة الانتقام^(٥).

(١) يُنظر: الأمثال لابن سلام (ص: ١٥٥، ١٥٦)، جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ٦٥)، زهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي (١/ ٧٣)، تفسير الشعراوي (٨/ ٤٥٣٣).

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٢٦)، تفسير الشعراوي (٨/ ٤٥٣٢)، معارج التفكير للميداني (٥/ ١١٦).

(٣) يُنظر: معارج التفكير للميداني (٥/ ١١٧).

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(٥) يُنظر: معارج التفكير للميداني (٥/ ١١٧).

- ٤٤ - عمل النبي عليه الصلاة والسلام بما أمره الله به في كتابه، ومن ذلك أخذه بالعفو، سواء عن المشركين، كما عفا عنهم بعد فتح مكة، أو عن بعض أصحابه فيما قد يحصل منهم من إساءة.
- ٤٥ - الحث على حسن الأخلاق^(١).
- ٤٦ - الرفق بالمؤمنين في التعامل معهم^(٢).
- ٤٧ - يسر الشريعة وسماحتها، وعدم تكليفها الناس بما لا يطيقون^(٣).
- ٤٨ - العفو عن الزوجة الناشزة، وإن كانت ظالمة لزوجها بنشوزها^(٤).
- ٤٩ - العفو عن ذوي الأرحام القاطعين لأرحامهم، وصلتهم وإن كانوا ظالمين.
- ٥٠ - العفو من الأخلاق التي يحبها الله، فهو عفوٌ يحب العفو، ومن عفا عفا الله عنه، وكلما كان الذنب أكبر كان العفو عنه أكمل^(٥).
- ٥١ - على قدر عظم رتبة الكريم يتوقف العفو عن الأصاغر^(٦).

(١) يُنظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٩٠)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٢٩).

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٤٤).

(٣) يُنظر: المنار لرضا (٩/ ٤٤٥).

(٤) يُنظر: تفسير الشعراوي (٨/ ٤٥٣٢).

(٥) يُنظر: لطائف الإشارات للقشيري (١/ ٥٩٧).

(٦) يُنظر: لطائف الإشارات للقشيري (١/ ٥٩٧).

٥٢- بيان خطأ بعض الدعاة والفقهاء الذين يعسرون على الناس في بعض المسائل، ويجعلون في الدين العسر والحرص المخالف للشرعية السمحة^(١).

٥٣- الرفق بالناس في الدعوة، والتيسير وترك التعسير، والتبشير وترك التنفير^(٢).

٥٤- على الداعية أن لا يكلف الناس فوق ما يطيقون، وأن يقبل منهم ما عملوا من واجبات، ويشجعهم ويشكرهم عليها، ولا يطالبهم بفعل مندوبات تشق عليهم.

٥٥- شكر الناس على ما أحسنوا فيه من قول أو فعل ولو كان قولهم وفعلهم دون ما كان ينبغي، والتجاوز عن تقصيرهم ونقصهم^(٣).

٥٦- عدم التعنت في الخصومات، وعدم تعقيد الأمور، وإلا وقعت الشرور^(٤).

(١) يُنظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٣/ ١١، ١٢)، المنار لرضا (٩/ ٤٤٥).

(٢) يُنظر: الكشف للزمخشري (٢/ ١٨٩)، التفسير الكبير للرازي (١٥/ ٤٣٤)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٢٩).

(٣) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٣١٣).

(٤) يُنظر: تفسير الشعراوي (٨/ ٤٥٣١).

٥٧- العفو عن الظالم بترك الانتقام، والحلم عن السفهاء^(١).

٥٨- يشرع العفو إذا كان سبباً لتسكين الفتنة، ورجوع الجاني عن جانيته، أما إذا

صار العفو سبباً لمزيد جرأة الجاني، فلا ينبغي العفو عنه، يؤخذ هذا من

الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ

يَنْتَصِرُونَ﴾ ٣٩ وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى

اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠ وَلَمَنْ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ

مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ [الشورى: ٣٩ - ٤١] ^(٢).

٥٩- معاملة عصاة الإنس بالمعروف والتي هي أحسن، فإن ذلك يكفهم غالباً،

أما شياطين الجن فلا ينفع معهم إلا الاستعاذة بالله من شرهم ^(٣).

٦٠- ترك التشدد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية^(٤).

٦١- الحث على المسامحة في كل ما يمكن التساهل فيه من الحقوق التي

(١) يُنظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١١٩/٥).

(٢) يُنظر: الباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢١١/١٧).

(٣) يُنظر: تفسير ابن كثير (٥٣٣/٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٤٧/٢).

(٤) يُنظر: التفسير المنير للزحيلي (٢١٧/٩).

تستوفى من الناس، فهو أعظم من الأخذ بالعفو^(١).

٦٢- ما لا يمكن التساهل فيه من الحقوق يجب أمر الناس فيه بالمعروف^(٢).

٦٣- في ذكر الأمر بالعرف بعد الأمر بأخذ العفو إشارة إلى وجوب الأمر بالمعروف، وحمل الناس على أداء الحقوق وإن لم يسمح بعض الناس بما يجب عليهم.

٦٤- الحث على كل معروف من الواجبات والمستحبات، وكل ما يعرف العقلاء صوابه، وتستحسنه النفوس، مما لا يخالف الشريعة^(٣).

٦٥- حث كل قريب وبعيد على فعل الخير وترك الشر^(٤).

٦٦- الحث على تعليم الناس الخير الديني والدنيوي^(٥).

٦٧- فضل العلم؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتقدمه العلم.

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٣٤ / ١٥).

(٢) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٣٤ / ١٥).

(٣) يُنظر: تفسير ابن جرير (٦٤٤ / ١٠)، الوسيط للواحدى (٤٣٧ / ٢)، المحرر الوجيز

لابن عطية (٤٩١ / ٢)، تفسير ابن كثير (٥٣٢ / ٣).

(٤) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٣١٣).

(٥) يُنظر: تيسير اللطيف المنان للسعدي (ص: ٦٩).

- ٦٨ - أهمية البلاغة لتبيين الحق بالكلام والكتابة، فهما وسيلة الأمر بالمعروف.
- ٦٩ - وجوب طلب العلم وتعليمه من لا يعلمه^(١).
- ٧٠ - فضل صلة القاطع، فإنه يدل على كرم النفس، والتخلق بالصبر^(٢).
- ٧١ - الأمر بالمعروف كله، لا ببعضه، من العقائد والأقوال والأفعال، فلم يخص الله سبحانه شيئاً من عموم العرف، والتعريف في كلمة (العرف) يفيد الاستغراق^(٣).
- ٧٢ - أعظم العرف الذي يجب الأمر به توحيد الله وعبادته وحده^(٤).
- ٧٣ - من العرف الذي يجب الأمر به اتباع السنة واجتناب البدع.
- ٧٤ - من العرف الذي يجب الأمر به ترك الفتن المتعلقة بالشبهات والشهوات.
- ٧٥ - من العرف الذي يجب الأمر به إعطاء الناس حقوقهم، وترك ظلمهم^(٥).

(١) يُنظر: التهذيب في التفسير للجشمي (٤/ ٢٨٢٤).

(٢) يُنظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٦٢).

(٣) يُنظر: تفسير ابن جرير (١٠/ ٦٤٤)، البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٢٥٦)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٢٨).

(٤) يُنظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ١٢٠).

(٥) يُنظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٩١).

- ٧٦- من العرف الذي يجب الأمر به شكر الله سبحانه على نعمه^(١).
- ٧٧- من العرف الذي يجب الأمر به تقوى الله سبحانه^(٢).
- ٧٨- من العرف الذي يجب الأمر به صدق الحديث^(٣).
- ٧٩- من العرف الذي يجب الأمر به غض البصر عن المحرمات^(٤).
- ٨٠- من العرف أن يكون أكمل العطاء لأهل الجفاء، تأليفاً لقلوبهم، كما فعل النبي ﷺ مع المؤلفلة قلوبهم يوم حنين^(٥).
- ٨١- الأمر بالعرف يعم أمر كل الناس، من المسلمين والكافرين، يؤخذ من حذف مفعول الأمر، فأفاد عموم المأمورين^(٦).
- ٨٢- صنع المعروف حتى مع المسيئين، وهذا مما يسهل عليهم قبول الحق^(٧).

-
- (١) يُنظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٩١).
- (٢) يُنظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٤/ ٢٦٨٧).
- (٣) يُنظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٤/ ٢٦٨٧).
- (٤) يُنظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٤/ ٢٦٨٧).
- (٥) يُنظر: لطائف الإشارات للقشيري (١/ ٥٩٨)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء للكلاعي (١/ ٥٣٧).
- (٦) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٢٨).
- (٧) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٢٨).

٨٣- يدخل في الأمر بالعرف أن يأمر الإنسان نفسه بالمعروف، ومن ذلك أن

يعطي الناس حقوقهم، وينصفهم من نفسه^(١).

٨٤- اهتمام الداعية إلى الله بصنائع المعروف، من إطعام المساكين، وإعانة

المحتاجين، وتنفيس الكرب عن المكروبين، وإنصاف المظلومين^(٢).

٨٥- وجوب الأمر بالمعروف، ويفهم منه وجوب النهي عن المنكر، فالأمر

بالشيء يشمل النهي عن ضده^(٣).

٨٦- الأمر في دعوة المشركين أهم من النهي، يؤخذ من الاقتصار في هذه الآية

على الأمر بالعرف؛ لأنه يدعوهم إلى أصول المعروف أصلاً بعد أصل،

فيدعوهم إلى توحيد الله، ثم إلى الصلاة، وهكذا^(٤).

٨٧- من الحكمة في دعوة الضالين أن يهتم الداعية بأمرهم بالمعروف أكثر من

اهتمامه بنهيهم عن المنكر؛ لأن المنكرات غالبية عليهم، فلو بدأ بالنهي

عنها لنفروا منه، فمن الحكمة غالباً أن يبدأ بدعوتهم إلى التوحيد والسنة

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٣٥/١٥).

(٢) يُنظر: معارج التفكير للميداني (١١٨/٥).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٨/٩).

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٨/٩).

والأعمال الصالحة^(١).

٨٨- على الداعي إلى الله أن يأمر الناس بالمعروف، وأن يحذر أن يأمرهم بما لا يُعرف في الشرع وجوبه أو استحبابه أو إباحته.

٨٩- يؤخذ من كلمة العرف أنه يُعمل به إذا لم يخالف الشرع^(٢).

٩٠- العرف المأمور به هو العرف الصحيح الذي لا يخالف الشرع، أما العرف الفاسد فلا عبرة به.

٩١- مراعاة الشريعة الإسلامية للأحوال الإنسانية، والأعراف المرعية، فقد أمر الله بالعدل، وبكل خلق حسن، وفعل جميل، مع مراعاة اختلاف العوائد، ولذلك قد يختلف الحكم الشرعي باختلاف الزمان والمكان والأحوال^(٣).

٩٢- الاستقامة على الشرع، وعدم تميع الدين إرضاء للكفار أو اتباعاً للأهواء.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٨/٩).

(٢) يُنظر: الموافقات للشاطبي (٤٩٩/٢)، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية لبورنو (ص: ٣٤).

(٣) يُنظر: تشنيف المسامع للزركشي (٣/ ٥٣، ٥٤)، نشر البنود على مراقبي السعود للشنقيطي (ص: ٢٧٢)، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للجيزاني (ص: ٣٦٠، ٣٦١).

- ٩٣- إظهار أهل العلم الحكم الشرعي فيما يعرفون وينكرون مما لا يخالف الشرع، ويكون عمدتهم في ذلك جمهور العقلاء في كل عصر^(١).
- ٩٤- الإجماع حجة، يؤخذ من اعتبار الشريعة لما يتعارفه المسلمون بينهم^(٢).
- ٩٥- يؤخذ من قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ مقدار تخصيص الأمر بالعفو، فهو ضابط عظيم لتخصيص عموم الأخذ بالعفو^(٣).
- ٩٦- عدم الأمر بالشيء المجهول حكمه شرعاً، أو بالشيء الذي فيه غرر ومخاطرة، يؤخذ من الأمر بالمعروف، فلا يجوز الأمر بالمجهول وما فيه مخاطرة^(٤).
- ٩٧- التزام المعروف من أعظم أركان الدين وشرعه^(٥).
- ٩٨- عدم مشروعية الاقتصار على الأخذ بالعفو مع ترك الأمر بالمعروف؛ لأن في ذلك تغييراً للدين، وإبطاً للحق، فلا بد من بيان الحق مع

(١) يُنظر: تفسير المراغي (٩/ ١٤٨).

(٢) يُنظر: التفسير القرآني للقرآن للخطيب (٥/ ٥٤٧، ٥٤٨).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٢٧).

(٤) يُنظر: المنار لرضا (٩/ ٤٤٦).

(٥) يُنظر: المنار لرضا (٩/ ٤٤٦).

الأخذ بالعفو^(١).

٩٩- في الجمع بين الأمر بالعرف والأمر بالإعراض عن الجاهلين دلالة على عدم التنازل عن الثوابت الدينية، وعدم ترك النصيحة لأجل إرضاء الجاهلين^(٢).

١٠٠- يؤخذ من الأمر بالإعراض عن الجاهلين الحث على العفو عن الظالم^(٣).

١٠١- عدم اعتبار عرف الجاهل المخالفين للشرعة، وما تعارف عليه بعض الناس مما لا يعرفه عامة الناس.

١٠٢- عدم مؤاخذه المسيء بعدم الالتفات إلى إساءته إعراضاً عنه^(٤).

١٠٣- لا ينجو أحد من أذى الجاهلين، ومن عداوة بعض الناس له^(٥).

١٠٤- حث من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على الصبر والإعراض عن

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٣٤ / ١٥).

(٢) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٣٤ / ١٥).

(٣) يُنظر: تفسير ابن جرير (٦٤٥ / ١٠)، تفسير ابن كثير (٥٣٢ / ٣).

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٨ / ٩).

(٥) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٣١٣)، العذب النمير للشنقيطي (٤٣٤ / ٤).

الجاهلين الذين يسيئون إليه بسبب بيانه للحق^(١).

١٠٥- الناصح للناس كالمُعَرِّض نفسه لعدواتهم، فعليه توطين نفسه على الصبر على أذاهم، يؤخذ من الأمر بالإعراض عن الجاهلين بعد ذكر أمرهم بالمعروف^(٢).

١٠٦- ليس كل من يعرف الخير يُقبل عليه، وليس كل من يعرف الشر يتوقاه^(٣).

١٠٧- الإعراض عن الجاهلين من المشركين والفاسقين إذا جهلوا على من دعاهم إلى الله، وأقام الحجة عليهم^(٤).

١٠٨- الإعراض عن الجاهلين من المشركين لا ينافي الأمر بجهادهم، فيجب الصبر على سوء أخلاقهم، وأن لا يقابل أقوالهم وأفعالهم السيئة بمثلها، مع وجوب قتالهم عند القدرة، جمعاً بين الأدلة الشرعية، ولا نسخ في الآية^(٥).

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (٤٣٤/١٥، ٤٣٥).

(٢) يُنظر: محاسن التأويل للقاسمي (٢٤٢/٥).

(٣) يُنظر: التفسير القرآني للقرآن للخطيب (٥٤٦/٥).

(٤) يُنظر: تفسير القرطبي (٣٤٦/٧).

(٥) يُنظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي (ص: ١٤٦)، التفسير الكبير للرازي (٤٣٥/١٥)،

العذب النمير للشنقيطي (٤٣٥-٤٣٦/٤).

١٠٩ - مشروعية الإعراض عن الجاهلين من الكافرين والمنافقين
والفاسقين، وعدم الانشغال بهم، وترك السؤال عن حالهم، وعدم
التكلف في طلب عقوبتهم.

١١٠ - عدم الحزن على هلاك الجاهلين الظالمين، وعدم التحسر عليهم^(١).

١١١ - الإعراض عن أهل الظلم، وعدم الركون إليهم، فهم من الجاهلين^(٢).

١١٢ - صيانة النفس عن منازعة السفهاء، وعن مقابلة الجاهلين بجهلهم^(٣).

١١٣ - الحرص على تقليل العداوات؛ لتكمل للإنسان منافع دينه ودنياه^(٤).

١١٤ - ترك ممارسة الجهال إعراضاً عنهم^(٥).

١١٥ - الإعراض عن السفهاء استهانة بهم^(٦).

١١٦ - عزة المسلم بحق ليست من الكبر المذموم، فمن حسن الأخلاق العزة

(١) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (٢٠٣/٨).

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي (٣٤٤/٧).

(٣) يُنظر: الوسيط للواحدى (٤٣٧/٢)، تفسير القرطبي (٣٤٤/٧).

(٤) يُنظر: التهذيب في التفسير للجشمي (٢٨٢٣/٤).

(٥) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (٢٠٣/٨).

(٦) يُنظر: النكت والعيون للماوردي (٢٨٨/٢).

بلا كبير، والتواضع بلا ذلة.

١١٧ - الإعراض عن المتعصيين لآرائهم الخاطئة، المصيرين على الباطل مع علمهم ببطلانه، جهالة منهم وظلمًا^(١).

١١٨ - الإعراض عن المتماذي في ضلاله عنادا يكون بعد أمره بالمعروف^(٢).

١١٩ - تنزيه النفس عن مساواة الجاهل والسفهاء والفسقة والمشركين^(٣).

١٢٠ - الإعراض عن الجاهلين الذين لا يدركون قيم الأشياء والأشخاص؛ لأن الرد عليهم لا ينفعهم، والإعراض عنهم قد يذلل نفوسهم^(٤).

١٢١ - أعظم سبب للتوقي من شر الجاهلين هو الإعراض عنهم^(٥).

١٢٢ - ترك تعنيف الجاهلين، وعدم الغلظة عليهم^(٦).

١٢٣ - من الجاهلين الذين يشرع الإعراض عنهم في هذا العصر مرتزقة صحف

(١) يُنظر: تفسير الشعراوي (٨/ ٤٥٣٤).

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٤٢).

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٤٤).

(٤) يُنظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٤٥٨).

(٥) يُنظر: المنار لرضا (٩/ ٤٤٨).

(٦) يُنظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢٧٨).

- الأخبار ونحوها من وسائل الإعلام والتواصل، فمنهم سفهاء جهلة^(١).
- ١٢٤ - خير جواب على الجاهل والسفهاء الإعراض عنهم، وفي ذلك سلامة من شرهم، وصيانة للوقت من الانشغال بهم.
- ١٢٥ - يؤخذ من التعبير بالإعراض عن الجاهلين دون تولي الظهر لهم أنه لا يستحسن إدارة الظهر لهم، بل يكتفى بالإعراض عنهم بجانب الوجه والجسم^(٢).
- ١٢٦ - من آداب العالم إذا سئل بسؤال لا يصح السؤال عنه أو ليس الجواب عنه مناسباً في ذلك الوقت أن يسكت عن الجواب، ويعرض عن السائل الجاهل.
- ١٢٧ - الفرق بين جهل الحلم وجهل العلم، والمقصود الأساس بهذه الآية الإعراض عن الجاهل جهل حلم؛ لأن الأصل في الجاهل جهل علم أن يُعَلَّم لا أن يُعرض عنه، وقد يجتمع في الإنسان جهل العلم وجهل الحلم، فيُعرض عنه.
- ١٢٨ - وصف جميع أهل الشرك والفسوق والبدع بالجاهلين، فهم جاهلون في

(١) يُنظر: المنار لرضا (٩/٤٤٨).

(٢) يُنظر: معارج التفكير للميداني (٥/١١٩).

علمهم، وجاهلون في أعمالهم^(١).

١٢٩ - ذم الجهل، والحض على طلب العلم والتعلق بالعلم^(٢).

١٣٠ - مدح العلم والعلماء، يفهم من الأمر بالإعراض عن الجاهلين.

١٣١ - يفهم من الأمر بالإعراض عن الجاهلين أن على المسلم أن يصاحب أهل

العلم والخير، وأن لا يشغل نفسه عنهم، وأن يكون معهم في الخير.

١٣٢ - المراد الإعراض عن الجاهلين حلمًا وحكمة، وليس المراد الإعراض

عنهم جملة وتفصيلاً، فإن التصدي لبيان أخطائهم من الأمر بالمعروف^(٣).

١٣٣ - من الحكمة في التعامل مع الناس الجمع بين الأخذ بالعفو، والأمر

بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين، ومعاملة كل إنسان بما يناسبه.

١٣٤ - حاجة المسلم إلى هداية الله لتوفيقه للتعامل مع الناس بما يوافق

الحكمة، وما يناسب كل إنسان منهم، وأن يعينه من وساوس الشيطان

ونزغاته التي تضله عن الصواب في التعامل مع الناس، فقد أمر الله بعد آية

الأخلاق بالاستعاذة بالله من الشيطان.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) يُنظر: تفسير القرطبي (٧/٣٤٤).

(٣) يُنظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٣٢).

١٣٥ - يؤخذ من مناسبة الآية لما بعدها أن إقدام السفهاء على السفاهة يهيج

الغضب، فأمر الله بالاستعاذة به من شر الشيطان في حال الغضب والغيط^(١).

١٣٦ - الحذر من وسوسة الشيطان بالانتقام ممن أساء، وترك العفو عنه^(٢).

١٣٧ - الاستعاذة بالله من الشيطان إذا وسوس للإنسان بالانتقام، وحثه على

عدم الأخذ بالعفو^(٣).

١٣٨ - الاستعاذة بالله من الشيطان إذا وسوس للمسلم لترك الأمر بالمعروف،

غضباً على الفاسقين أو يأساً من هداهم^(٤).

١٣٩ - الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان إذا وسوس للإنسان بعدم الإعراض

عن الجاهلين.

١٤٠ - أن الشيطان ينزغ الناس ليشيهم عن المنهج السليم في معاملة الناس

بالعفو، وأمرهم بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين.

١٤١ - أن الشيطان يسبب للإنسان سوء الأخلاق بإثارة غضبه، وبعث حسده

(١) يُنظر: التفسير الكبير للرازي (١٥ / ٤٣٥، ٤٣٦).

(٢) يُنظر: تفسير ابن جرير (١٠ / ٦٤٥).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩ / ٢٣٠).

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩ / ٢٣٠).

وحقده، والنفخ فيه ليتكبر على غيره.

١٤٢ - الشيطان أشد عداوة من الجاهلين، فقد أمر الله تعالى بالإعراض عن الجاهلين ليسلم الإنسان من شرهم، وأما الشيطان فلا ينفع معه إلا الاستعاذة بالله سبحانه من شره.

(٤)

من الهدايات القرآنية التي يمكن أن نستفيد منها من قوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥] ما يلي^(١):

١ - يؤخذ من هذه الآية وما ذكر قبلها من إثبات الحشر أن العقاب الدنيوي إذا عم الصالح والطالح، فكلُّ يُبعث على نيته، كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ))، قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟! قال: ((يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ))^(٢).

(١) يُنظر: الهدايات القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] للمؤلف، مجلة القلم، اليمن - إب، العدد (٢٣)، سنة ٢٠٢١ م.

(٢) رواه البخاري (٢١١٨).

٢- يؤخذ من هذه الآية الكريمة وما سبقها أن المخالف لله ورسوله ظالم يستحق العقوبة.

٣- في ذكر هذه الآية عقب غزوة بدر الكبرى إشارة لطيفة إلى ما قد يقع من بعض الصحابة من مخالفة تعم عقوبتها جميعهم، كما وقع ذلك في غزوة أحد من المخالفة للرسول من بعضهم؛ فتسبب عن ذلك عقوبة عامة لجميع الصحابة بانهمزامهم أمام كفار قريش.

٤- من أسباب الفتنة التكاسل عن جهاد أعداء الله^(١)، يؤخذ من هذه الآية مع موضوع السورة الذي هو الجهاد، ويؤيد ذلك قول الله سبحانه: ﴿إِلَّا تَتَفَرُّوا يُعَذِّبَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، فالفتن تكثر عند تعطيل الجهاد في سبيل الله، كما في حديث عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول

(١) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٣/ ٥٥)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ٤٤، ٤٥)، التفسير المظهر (٤/ ٤٩)، التفسير والبيان لأحكام القرآن لعبد العزيز الطريفي (٣/ ١٣٩٠).

الله صلى الله عليه وسلم: ((لَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيِّفَيْنِ، سَيْفًا مِنْهَا، وَسَيْفًا مِنْ عَدُوِّهَا))^(١) أي: لا يجمع الله سبحانه على هذه الأمة سيفًا في قتال بعضهم بعضًا أيام الفتن، وسيفًا من الكفار، بمعنى أن السيفين لا يجتمعان فيؤديان إلى استئصالهم، ولكن إذا جعلوا بأسهم بينهم سلط الله عز وجل عليهم عدوهم، وكف بأسهم عن أنفسهم، فمحاربتهم إما مع أنفسهم وقت الفتن وإما مع الكفار بالجهاد في سبيل الله^(٢).

٥ - الفتنة لا تخص أهل المعاصي بل تعم جميع الناس لكونهم لم يدفعوها، فمن أسباب الفتنة إقرار المنكرات، وترك تغييرها^(٣).

٦ - التحذير من شيوع المعاصي والمجاهرة بالمنكرات، فإن ذلك سبب الفتن

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٣٠١)، وحسنه عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول في أحاديث الرسول (٦٧٦٣).

(٢) يُنظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيب (٦٢٨/٥)، فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٣٠٢/٥).

(٣) يُنظر: التفسير البسيط للواحدي (٩٥/١٠)، مختصر تفسير سورة الأنفال، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر)، لمحمد بن عبد الوهاب (ص: ١٢)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٣١٦/٩).

العامّة^(١)، كما قال الله سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

٧- أهمية تطهير الرأي العام من العقائد والأقوال الباطلة؛ لأنها تفسد القلوب، وتفسد العقول^(٢).

٨- وجوب اتقاء الفتن قبل وقوعها، والحذر منها، ودعاء الله سبحانه أن يعيذ الإنسان منها^(٣)، وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ))^(٤).

(١) يُنظر: تفسير ابن جرير (١١٣/١١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥١٥/٢)، زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٣٠٩٩/٦).

(٢) يُنظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٣١٠٠/٦).

(٣) يُنظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام للكرجي (٤٦٨/١).

(٤) رواه مسلم (٢٨٦٧).

- ٩ - منهج الإسلام منهج تكافلي إيجابي، يدعو الناس إلى الصلاح والإصلاح^(١).
- ١٠ - من اتقاء الفتن العامة والعقوبات الدنيوية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢)، وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَا يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعْمَهُمْ بِعِقَابِهِ))^(٣).
- ١١ - من اتقاء الفتن العامة والعقوبات الدنيوية إفشاء العدل بين الناس، ونهي الظالم عن الظلم كائنًا من كان^(٤)، فعن طارق بن شهاب رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الجهاد أفضل؟ قال: ((كَلِمَةُ حَقٍّ

(١) يُنظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٣/ ١٤٩٦).

(٢) يُنظر: تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي (٥/ ١٨١)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٣٨٢)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٨/ ٢٥٧)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي (ص: ٣١٨)، زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٦/ ٣١٠٠).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وصحح إسناده الأرنؤوط في تحقيق المسند (١/ ١٧٨).

(٤) يُنظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٦/ ٣١٠٠).

عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ^(١).

١٢- تحذير الناس من جميع الفتن، يؤخذ من تنكير الفتنة، وهذا التنكير يدل على أن الفتنة قد تكون شديدة هائلة^(٢).

١٣- الرد على من يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقاً^(٣).

١٤- وجوب قيام كل من الولاية والرعية بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على درء الفتن^(٤).

١٥- وجوب قيام جميع الأمة بردع الظالم عن الظلم، والعاصي عن المعصية

(١) رواه النسائي (٤٢٠٩)، وصحح إسناده الأرناؤوط في تحقيق المسند (١٢٥ / ٣١).

(٢) يُنظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي (٤٧٣ / ١٥)، حاشية الطيبي على الكشف (٧ / ٧١)، بيان المعاني لعبد القادر حويش (٥ / ٢٨٤).

(٣) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٨٢ / ١٧)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم للبقاعي (٨ / ٢٥٦).

(٤) يُنظر: أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد (ص: ١٨٦-١٩٣)، في ظلال القرآن لسيد قطب (٣ / ١٤٩٦)، زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٦ / ٣١٠١)، التفسير الحديث لدروزة (٧ / ٢٧)، أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (ص: ١٣٥-١٣٨).

بحسب استطاعتهم، وإلا كانوا آثمين^(١).

١٦ - الفساد في الأرض الواقع بسبب اختلاف الكلمة والتحزب والتفرق هي عقوبات دنيوية تعم جميع الناس، حتى الصالحين والأمين بالمعروف، وذلك مثل الغلاء، والقحط، وانتشار الأمراض والأوبئة، واضطراب الأحوال، وتسلب الظلمة، وعدم الأمن^(٢)، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُزَيِّقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

(١) يُنظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية للطوفي (ص: ٣٠٧)، روح المعاني للألوسي (١٨٢/٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٢٧٧/٥، ٢٧٨)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي (ص: ٣١٨)، زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٣١٠١/٦).

(٢) يُنظر: حاشية ابن التمجيد على البيضاوي (مطبوع مع حاشية القونوي) لمصلح الدين الحنفي (٦١/٩)، التفسير المظهر (٤٩/٤)، فتح القدير للشوكاني (٣٤٣/٢)، تفسير المنار لمحمد رضا (٥٣٠/٩)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٣١٦/٩)، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٥٦١/٤)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي (٧٦/٦).

١٧ - عدم محابة الله عز وجل أحدًا من خلقه ولو كانوا من الصالحين، فقد وقعت فتنة عامة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه شملت الصالح والطالح في القرن الأول الهجري الذين هم خير الناس، ولو حابى الله أحدا لحابى أصحاب نبيه رضي الله تعالى عنهم^(١).

١٨ - كمال تصرف الله سبحانه في خلقه كيف يشاء، وإثبات خلقه للشر كما يخلق الخير، فقد حذر الله سبحانه وتعالى من الفتن، فدل على أنها من خلقه، وتقع بمشيئته^(٢)، ويؤيد ذلك قوله سبحانه: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

١٩ - شؤم مجاورة الظالمين، وخطورة العيش في بلاد الكافرين، فقد تنزل عليهم عقوبة بسبب ظلمهم وكفرهم وذنوبهم تعم جميع المخالطين

(١) يُنظر: تفسير ابن جرير (١١ / ١١٣)، تفسير القرطبي (٧ / ٣٩١)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤ / ١٥٨)، تفسير المنار لمحمد رضا (٩ / ٥٣١).

(٢) يُنظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام للكرجي (١ / ٤٦٧، ٤٦٨)، حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر لشيث ابن الحاج القناوي (ص: ٤١).

لهم^(١)، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
 أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
 أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا
 ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ
 عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

٢٠- مشروعية الهجرة من بلاد الكفر، والانتقال من المكان الذي يعم الظلم
 فيه، إذا لم يستطع المسلم أن يأمر من حوله بالمعروف، وينهاهم عن
 المنكر، حتى لا تصيبه العقوبة العامة.

٢١- تحذير المسلمين من الركون إلى الظالمين، وإعانتهم على ظلمهم، والقعود
 معهم، فإن العقوبة تعم الساكت عنهم، فكيف بمن يعينهم ويجالسهم؟! قال
 الله سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا
 لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣]،

(١) يُنظر: محاسن التأويل للقاسمي (٢٧٧/٥)، التفسير المأمون على منهج التنزيل
 والصحيح المسنون لمأمون حموش (٢٤٥/١).

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٢٢- عقوبة غير الظالمين بذنوب الظالمين يدل على نوع تقصير منهم، إما بموافقتهم الظالمين أو بسكوتهم عن الإنكار عليهم أو بتركهم الخروج من بين أظهرهم^(١).

٢٣- التحذير من التعصب للظالمين لا سيما إن كانوا من الكبراء المتبوعين، بالمخاصمة عنهم، أو بمنع إقامة الحدود عليهم^(٢).

٢٤- ترك أسباب العذاب خير من التساهل فيها حتى يقع العذاب العام، فالوقاية خير من العلاج^(٣).

(١) يُنظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣٩١/٢)، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٢٠٢/٢)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٨٢/١٧، ٣٨٣)، حاشية القونوي على البيضاوي، (مطبوع مع حاشية ابن التمجيد) لإسماعيل الحنفي (٥٦/٩)، زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٣١٠١/٦).

(٢) يُنظر: لطائف الإشارات للقشيري (٦١٦/١).

(٣) يُنظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة لوهبة الزحيلي (٢٩٢/٩).

٢٥- الفتن إذا عمت في مجتمع ما تضيع حكمة الحكماء وتديرهم، ولا ينتفع الناس بنصح الناصحين حينئذ، وتغلب على عقولهم الحيرة والدهشة، وهذا من آثار حيلولة الله سبحانه بين الناس وقلوبهم^(١).

٢٦- الظلم من أسباب تعجيل العقوبات الدنيوية^(٢)، وفي حديث أبي بكرة نُفِعَ الثَّقَفِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))^(٣).

٢٧- أعظم الظلم الشرك بالله سبحانه، فالشرك بالله أعظم أسباب الفتن والعقوبات، كما أن توحيد الله سبحانه أعظم الأسباب لحصول الخير للأفراد والمجتمعات في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ

(١) يُنظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٤/ ٣٤٣)، من هدي سورة الأنفال لمحمد أمين المصري (ص: ٢٨١).

(٢) يُنظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٦/ ٣١٠٠، ٣١٠١).

(٣) رواه الترمذي (٢٥١١)، وصححه الترمذي، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩١٨).

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

٢٨- أهمية الدراسات الاجتماعية للظواهر السيئة في المجتمعات، للوقوف على أسبابها وآثارها، وطرق علاجها، فهذه الدراسات النافعة من أساليب اتقاء عقوبات الفتن العامة.

٢٩- ضرورة اتقاء عقوبة الله سبحانه وتعالى على الفتن بالتوبة والاستغفار والإكثار من الأعمال الصالحة، والمبادرة إلى تدارك الفتن بإخمادها في أولها قبل انتشارها^(١).

٣٠- وجوب العلم بشدة عقاب الله سبحانه في الدنيا والآخرة للأمم والأفراد إذا عصوه، وإن كانوا من المصلين، ووجوب الخوف من عقاب الله على ترك الاستجابة لله ورسوله^(٢).

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٤/١٥)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣٢٣/٤)، تفسير المنار لمحمد رضا (٥٣١/٩)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٣١٧/٩)، تفسير الشعراوي (٤٦٥٤/٨)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي (٧٧/٦).

(٢) يُنظر: التفسير البسيط للواحيدي (١٠٣/١٠)، التهذيب في التفسير للحاكم الجشمي (٢٨٩٥/٤)، تفسير المنار لمحمد رضا (٥٣١/٩)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٣١٨/٩)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة لوهاب الزحيلي (٢٩٢/٩).

٣١- الحث على العلم بصفات الله سبحانه، ومن ذلك العلم بشدة عقابه في الدنيا والآخرة^(١)، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿١٢﴾ [البروج: ١٢].

٣٢- تحذير من يقع في المعاصي والفتن بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة إذا لم يتب إلى الله سبحانه بالخروج منها، والإقلاع عنها^(٢).

٣٣- العقوبة تأتي بعد الذنب، يؤخذ من اشتقاق كلمة العقاب، فقد قيل: إن العقاب سمي بذلك لأنه يأتي عقب الذنب من أجله^(٣).

٣٤- معرفة أن أعظم سبب لما أصاب ويصيب المسلمين من العقوبات الدنيوية من التفرق والاختلاف، والذل والهوان، والفقر والخوف،

(١) يُنظر: تفسير ابن جرير (١١٦/١١)، المعين على تدبر الكتاب المبين لمجد مكي (ص: ١٧٩).

(٢) يُنظر: تفسير ابن جرير (١١٦/١١)، بحر العلوم للسمرقندي (١٦/٢)، التهذيب في التفسير للحاكم الجشمي (٤/ ٢٨٩٥)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢/ ٣٠٥).

(٣) يُنظر: العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/ ٥٦١)، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم لمحمد حسن جبل (٣/ ١٤٩٦-١٤٩٨).

وتسلط الكافرين والمنافقين، هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، فبسبب ذلك تقع الفتن العامة الشاملة لجميع الأمة^(١).

٣٥- ختم الآية بالتذكير بشدة عقاب الله تعالى يؤخذ منه أن على كل مسلم

ومسلمة أن يكون مصلحا لغيره، ولا يكتفي بأن يكون صالحا في نفسه،

فعقاب الله سبحانه يصيب مباشر المعصية وغير المباشر لها، وفي هذا

تحذير من التقصير في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر^(٢).

(١) يُنظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٦/٣١٠١، ٣١٠٢).

(٢) يُنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٤/١٧)، العذب

النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/٥٦١).

من الهدايات القرآنية التي يمكن أن نستفيد منها من قصة ذي القرنين ما يلي^(١):

١ - أن الملك بيد الله يؤتیه من يشاء من العباد، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ

يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقال الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن

تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

٢ - العمل بالأسباب، فقد عمل ذو القرنين بالأسباب المتيسرة له، واتبعها

للولصول إلى مقاصده، قال تعالى: ﴿وَعَايَنَهُ مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤] فأتبع

سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤، ٨٥].

٣ - ذكر الله في سورة الكهف ملكين أحدهما عادل وهو ذو القرنين، والآخر

ظالم وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، فمن صفة الملك الظالم: قهر

(١) يُنظر: قصة ذي القرنين، للمؤلف، منشور في شبكة الألوكة.

المساكين، وأخذ أموالهم غصبًا، وعدم رحمتهم. ومن صفة الملك العادل: رحمة المساكين ونفعهم، والحرص على دفع الشر عنهم، والتعفف عن أموالهم حتى وإن اضطروا لعرضها عليه، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَذَّنَا الْقَرْيَنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٤، ٩٥].

٤- إتياب الملك العادل نفسه للدعوة إلى الله، وإكثاره من السفر وتحمله المشاق لنفع الضعفاء والمساكين لوجه الله، فقد ذكر الله عن ذي القرنين أنه سافر ثلاثة أسفار طويلة شاقة.

٥- الإحسان إلى المؤمنين الصالحين، ومعاقبة الكافرين والفاستدين ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۖ ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۖ﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨].

٦- سعة علم الله تبارك وتعالى، وأنها لا نعلم إلا ما علمنا الله سبحانه، ومن ذلك: أننا لم نعلم من قصة ذي القرنين إلا ما أخبرنا الله، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْيَنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ﴾

[الكهف: ٨٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ ﴿٩١﴾ [الكهف: ٩١]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٧- علو همة الملك العادل، وحرصه على عمل المشاريع العملاقة الضخمة المستمرة، فعندما طلب القوم من ذي القرنين أن يبني لهم سدا ولو من الحجارة، بنى لهم ردما عظيما من الحديد والنحاس! ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ﴿٩٥﴾ [الكهف: ٩٤، ٩٥].

٨- حيلولة الملك العادل بين أهل الفساد وبين الناس، فقد جعل ذو القرنين بين يأجوج ومأجوج وبين الناس حاجزا ليدفع شرهم.

٩- عدم اغترار الملك العادل بقوته، وتقديمه الرأي والتدبير على شجاعته، فمع ما أعطى الله ذا القرنين من الملوك والتمكين في الأرض والأسباب الكثيرة المتنوعة إلا أنه لم يقاتل يأجوج ومأجوج، بل تكلف بناء الردم ليسلم هو والناس من شرهم، ولم يُعَرِّض جنوده لقتالهم لوجود طريقة أخرى لدفع فسادهم، وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ،

فَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فَاصْبِرُوا))^(١).

١٠ - أَمَرَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ رَعِيَّتَهُ بِكُلِّ عَمَلٍ بِهِ يَنْتَفِعُونَ، وَتَعْلِيمِهِمْ مَا يَجْهَلُونَ، وَعَدَمَ إِقْرَارِهِمْ عَلَى الْكُسْلِ وَالتَّهَوُّنِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى التَّعَاوُنِ، وَإِشْرَافِهِ بِنَفْسِهِ عَلَى سِيرِ أَعْمَالِهِمْ ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥﴾
﴿إِنِّي زُبُرُ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ إِنِّي أَفُوقُ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٥، ٩٦].

١١ - التَّحَدَّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَنِسْبَةِ الْفَضْلِ فِي إِنْجَازِ الْمَشَارِيعِ إِلَى اللَّهِ ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨].

١٢ - تَذَكُّرُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ لِلْيَوْمِ الْآخِرِ وَاسْتِعْدَادُهُ لِلْقَاءِ اللَّهِ، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۚ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

(١) رواه البخاري (٢٩٦٦) ومسلم (١٧٤٢).

الهدايات القرآنية تُستخرج بدراسة وتدبر كل آية في كل سورة، وتستخرج أيضاً بدراسة موضوع في القرآن الكريم، وهذا مثال تطبيقي لبيان الهدايات القرآنية التي تبين لنا أسباب النصر والتمكين^(١):

١ - الإيمان والعمل الصالح:

قال الله سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال عز وجل: ﴿وَلَنَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، وقال جل شأنه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]، فالله سبحانه مع المؤمنين الصالحين بالنصر والتأييد، وقد وعدهم بالدفاع عنهم، وضمن لهم إن حققوا الإيمان اعتقاداً

(١) يُنظر: بيان أسباب النصر والتمكين من القرآن الكريم للمؤلف، منشور في شبكة الألوكة.

وقولاً وعملاً أن لا يجعل للكافرين عليهم سبيلاً مستمرة في كل حين، فقد ينتصر الكفار في بعض المواطن والأوقات بسبب تفريط المؤمنين في بعض أسباب النصر، وسنة الله التي لا تتخلف أن ينصر المؤمنين الكاملين الإيمان في الحياة الدنيا على أعدائهم بالغلبة إن قاتلوهم، وبالحجة إن ناظروهم، وبالانتقام منهم إن قتلوهم وظلموهم.

فالصحابة رضي الله عنهم حين حققوا الإيمان والعمل الصالح بطاعة الله ورسوله نصرهم الله على جميع أعدائهم، فهزموا جيوش المرتدين، وفتحوا فارس، وغلبوا الروم، ولم يستطع أحد أن يقف أمامهم، وتحقق وعد الله لهم في قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوتَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٢، ٢٣].

فإذا حقق المؤمنون الإيمان والعمل الصالح في أي زمان ومكان، فتمسكوا

بالقرآن والسنة، وأطاعوا الله ورسوله، فإنه يرحمهم، وينصرهم الله على أعدائهم، قال الله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))^(١).

وإن حصل للمسلمين انهزام في بعض المواطن أو الأزمان فهو من عند أنفسهم، بذنوبهم ومخالفتهم ما أمرهم الله ورسوله، كما قال سبحانه للصحابة في غزوة أحد: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فالله لا يجامل أحداً، فمن وفى بما أمره الله وفاه الله ما وعده، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

٢ - تقوى الله والإخلاص:

تقوى الله هي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأعظم ما أمر الله به التوحيد

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢) وابن ماجه (١٠) بإسناد صحيح، وأصله في صحيح مسلم (١٩٢٠).

والإخلاص، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، ومنه الرياء، وإرادة الدنيا بعمل الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وتقوى الله والإخلاص في الجهاد من أعظم أسباب النصر، قال الله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٩٤﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال جل وعز: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ولا يكون الجهاد عملاً صالحاً مقبولاً إلا إذا كان خالصاً لله، وإلا كان رياء وسمعة، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وقد أكد الله على الإخلاص في الجهاد في آيات كثيرة، فلا بد أن يكون الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤٤﴾ [البقرة: ٢٤٤]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجْرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿١٠﴾ تَوَمُّونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١﴾ يَغْفِرُ

لَكُمْ دُونَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ

﴿١٣﴾ [الصف: ١٠ - ١٣]، فإذا كان المجاهدون من المؤمنين المتقين
الصادقين، وأخلصوا في جهادهم لله رب العالمين، وأخذوا بأسباب النصر التي
بينها الله في كتابه بقدر الاستطاعة؛ فعاقبتهم النصر بإذن الله.

٣- نصره الله تعالى:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ﴾ ﴿٧﴾ [محمد: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَإِنَّ
اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، فمن أعظم أسباب النصر نصره الله، وذلك
بإقامة الدين الحق علماً وعملاً وحكماً، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف،
والنهي عن المنكر، فواجب على المسلمين حكماً ومحكوماً أن يعملوا
بالأسباب المشروعة لإقامة دين الإسلام ونشره، والدفاع عن حرماته، والسعي
في دفع الظلم عن أهله، وإزالة الفساد بأنواعه، ونصر المستضعفين في الأرض
بقدر الاستطاعة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ

لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴿[البقرة: ٢٥١]﴾.

٤ - اجتماع الكلمة على الحق، وإصلاح ذات البين، وعدم التنازع والتفرق،
والقتال تحت راية واحدة بقيادة واحدة:

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]،
وقال عز وجل في أول سورة الجهاد وهي سورة الأنفال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، فأول طريق التمكين للأمة تقوى الله
وإصلاح ذات البين، فهما أول الوصايا في سورة الجهاد، فإذا لم يحقق
المسلمون تقوى الله بطاعة الله ورسوله، وتنازعوا واختلفوا؛ زالت قوتهم،
وتسلط عليهم أعداؤهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا
فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ومعنى ريحكم: أي: نصركم
وقوتكم ودولتكم، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]،
وقال عز وجل: ﴿الَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ
قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]،

فلا بد في الجهاد من قائد واحد يُقاتل في سبيل الله تحت قيادته؛ لينظّم الصفوف، ويضع الخطط، وينسق الجهود، كما قال الله تبارك وتعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: ٤].

وإن من الأمور المهمة التي يؤكد عليها الإسلام لأجل مصلحة اجتماع الكلمة، ودفع مفسدة التفرق والاختلاف: أن لا يُنازع الناس من ولّاه الله أمرهم، فالمُلك لله يؤتاه من يشاء، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَانَ رَأْسُهُ زَبِيَّةً))^(١)، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ عليهم البيعة فكان فيما أخذ علينا: (أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا

(١) رواه البخاري (٧١٤٢).

عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ^(١).

وإن كثيراً من الناس يسعون في تغيير حكاهم، ولا يحرصون على إصلاحهم والتعاون معهم على الخير، بدعوى أنهم أحق بالملك منهم، كما قالت بنو إسرائيل عن طالوت: ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فتقع الفتن العظيمة من أجل الملك، وقد نهى النبي ﷺ عن القتال في الفتنة، وعن القتال تحت كل راية عَمِيَّة وعصبية، وأمر عليه الصلاة والسلام باعتزال القتال عند اختلاف الأمة، وأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم وإن كان فيه خير وشر، ولم يأمر بالسعي في تغييره وخلعه والخروج عليه ما دام مسلماً يحكم الناس بشرع الله، وإن كان فيه دخن^(٢)، وعلى العلماء والدعاة مسئولية دعوة الحكام إلى توحيد الله وطاعته، ونصحهم بإقامة العدل وترك الظلم، وترغيبهم في إصلاح دين الناس ودنياهم، وحثهم على الحكم بما أنزل الله، وتحذيرهم من الحكم بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى، والتعاون معهم على الخير، وحثهم على الجهاد في سبيل الله، مع عدم

(١) رواه البخاري (٧٠٥٦) ومسلم (١٧٠٩).

(٢) يُنظر: ما رواه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة رضي الله عنهما.

السعي للسلطة، فمن أعظم أسباب النصر اجتماع الكلمة على الحق، وإصلاح ذات البين، وعدم التنازع والتفرّق، والتعاون على البر والتقوى، والقتال تحت راية واحدة بقيادة واحدة، فيجب على جميع المسلمين حكماً ومحكومين أن يتعاونوا على الخير، وأن يصلحوا ما يقع من خلاف بين حكام المسلمين، أو بين الحكام مع شعوبهم، أو بين العلماء والدعاة وطلاب العلم فيما بينهم، فقد صار حال كثير من المسلمين كما قال الله تعالى عن اليهود: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحَسَّبُوهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر: ١٤]، فإذا لم نصلح ذات بيننا فنحن لا نعقل مصالحننا، ولا نفهم ديننا، فالصلح خير كما أخبر الله، وهو سبب لرحمة الله لنا، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠]، ويجب أن تتسع صدورنا في مسائل الاجتهاد، وأن ينصح بعضنا بعضاً، وأن يستغفر بعضنا لبعض، وأن تتضافر جهود جميع المسلمين على هدف واحد وهو الجهاد في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، كل يجاهد في ثغره، بقدر ما يستطيع بنفسه أو بماله أو لسانه، ولو بالدعاء، فقد علمنا الله أن ندعوه أن يغفر لنا وأن ينصرنا على القوم الكافرين في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا

تَوَاخَذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ^ص وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فيكون همنا جميعاً حكاماً ومحكومين أن ينصرنا الله على القوم الكافرين، فيكون الجهاد جهاد الأمة لا جهاد بعض الأفراد من الأمة، لا سيما في جهاد الدفع، ومن أعظم واجبات الحاكم المسلم أن يسعى في إقامة الجهاد بجميع وسائله، وأن يحث المسلمين على الاستعداد له، ففي الجهاد عزهم، وصلاح أمورهم في دينهم ودنياهم، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦]، ولا يجوز للحاكم المسلم أن يبطل الجهاد ويعرض عنه مطلقاً، فالصراع مستمر بين الحق والباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]^(١).

(١) يُنظر: المغني لابن قدامة (٩/ ٢٩٨).

٥ - إعداد ما يُستطاع من قوّة:

القوة مطلب شرعي، فالإسلام دين القوة والعزة، وقوام الإسلام بكتاب يهدي، وسيف ينصر، فليس كل الناس تنفعه الموعظة والحكمة، فمن الناس من لا يرتدع عن غيه إلا بالقوة والشدة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، ولذلك أمر الله المؤمنين بتحصيل القوة بجميع معانيها وأنواعها بقدر الاستطاعة، قال الله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فالإسلام ينهى عن الضعف والمهانة، وموالات الأعداء والتبعية لهم، ويأمر بتحصيل جميع أسباب القوة المادية والمعنوية بقدر الإمكان، ولا عزة للمسلمين إلا بالإسلام، ومهما ابتغوا العزة في غيره أذلهم الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

٦ - الصبر في الجهاد والثبات عند اللقاء:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))^(١).

٧ - إقامة الصلاة والإكثار من ذكر الله واستغفاره ودعائه والاستغاثة به:

لا بد أن تكون صلة المجاهدين بالله عزيمة لتحقيق النصر؛ ولذلك أمرهم الله بالمحافظة على الصلاة وإقامتها، ولم يرخص لهم في تركها حتى في حال الخوف والقتال، قال الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [٢٣٨] فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا

(١) رواه أحمد بن حنبل (٢٨٠٣)، وصححه الأرنؤوط.

أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾
 [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا
 بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣]، فمن
 أسباب النصر: إقامة الصلاة، فهي عمود الدين، ومن أسباب النصر: الإكثار
 من ذكر الله واستغفاره ودعائه والاستغاثة به، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ
 مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا
 اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
 ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾
 فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨]، وقال عز وجل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ
 الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾
 [النمل: ٦٢]، وقال سبحانه مثنيًا على نبيه وأصحابه يوم بدر: ﴿إِذْ
 تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ

مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ [الأنفال: ٩]، فالنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا يستغيثون بالله يوم بدر استغاثة عظيمة مع وعد الله لهم بالنصر في تلك الغزوة بعينها، فعلى غيرهم الاستغاثة العظيمة بالله من باب أولى.

٨- التوكل على الله:

يجب على المسلمين أن تتعلق قلوبهم بالله وحده في طلب تحقيق النصر، ويتبرءوا من حولهم وقوتهم، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا الْنَصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، فالتوكل من أعظم أسباب النصر؛ لأن المتوكلين يفوضون أمورهم إلى الله القادر على كل شيء، فيعتمدون على الله وحده في جلب ما ينفعهم، ودفع ما يضرهم، مع أخذهم بالأسباب الشرعية المتيسرة لهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، وقال عز وجل: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، وحكى الله

تبارك وتعالى قول الرجلين اللذين نصحا بني إسرائيل بالتوكل فقالا: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وإن من الواجبات الشرعية على الأمة أن تتوكل على الله في جلب ما ينفعها في دينها ودنياها، وفي دفع ما يضرها في دينها ودنياها، وأن تسعى في إصلاح أمورها كلها، الاقتصادية والزراعية والصناعية والتجارية والاجتماعية والطبية والسياسية والحربية وغير ذلك.

٩ - وضوح الغاية من الجهاد:

من أسباب النصر أن يكون هدف المسلمين من الجهاد واضحا، وهو إعلاء كلمة الله، وإنقاذ الكافرين من عذاب الله في جهاد الغزو، والدفاع عن المسلمين وحماية دينهم ومقدساتهم وأعراضهم وأموالهم وأرضهم في جهاد الدفع، فالجهاد في الإسلام ليس لأطماع دنيوية، ولا لمنافع مادية، وإنما هو لإعلاء كلمة الله، ولإنقاذ الكافرين من عذاب الله؛ ولذلك كان الجهاد من أساليب الدعوة إلى الله، وعلى المسلمين أن يحثوا أعداءهم على التوبة إلى الله، ويقبلوا توبة التائبين منهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾

وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ
أَنْتَ هَؤُلَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ [الأنفال: ٣٨، ٣٩].

١٠ - موالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين والظالمين:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ [المائدة: ٥٦]، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا
تَنْصُرُون﴾ ﴿١١٣﴾ [هود: ١١٣]، فمن أعظم أسباب النصر: الولاء للمؤمنين
المتقين، أينما كانوا، من غير تعصب لبعضهم على بعض، والبراءة من الكافرين
والظالمين، قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ
مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ
عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٢﴾
[المجادلة: ٢٢]، فإن لم يحقق المسلمون الولاء والبراء كما أمرهم الله، وصاروا
أحزابًا متفرقين، وصارت لهم ولائات ضيقة، فستكون فتنة في الأرض وفساد
كبير، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ

تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ [الأنفال: ٧٣]، وقال عز وجل:
﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى
اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩].

١١ - الحكمة في الجهاد:

قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ [البقرة: ٢٦٩]،
والحكمة هي: وضع الشيء في موضعه، والإسلام دين القوة والحكمة،
والحكمة في الجهاد لها صور كثيرة:

أ- فمن الحكمة في الجهاد: الثبت، والمشاورة، والرجوع إلى
المتخصصين في كل أمر، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]، وقال سبحانه:
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا
جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ
وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:
٨٣]، وأولو الأمر هم الأمراء والعلماء، ويدخل في العلماء كل

متخصص في أي علم نافع، من العلوم العسكرية والهندسية والسياسية والطبية وغيرها.

ب- ومن الحكمة: التعامل بحكمة وحزم في قضايا النوازل، بلا عنف ولا ضعف، والرجوع في حل كل خلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرضا بحكم الشرع، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

ج- ومن الحكمة: المحافظة على سيادة الدولة المسلمة وعزتها، وعدم الرضا بالذلة والمهانة، وترك التبعية في السياسة لأي دولة من الدول الكافرة، وعدم اتخاذ أولياء من غير المسلمين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١١٨﴾ [آل عمران: ١١٨].

د- ومن الحكمة في الجهاد: الحذر من كيد الكافرين ومكرهم، قال الله

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

ه- ومن الحكمة في الجهاد: الكيد بالكافرين في الحرب، فالحرب خدعة

كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ^(١).

و- ومن الحكمة في الجهاد: قبول الصلح والهدنة مع الكفار إن كان في ذلك

مصلحة راجحة للمسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ

لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

ز- ومن الحكمة في الجهاد: تحييد الأعداء، وترك من لم يقاتل المسلمين،

كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَتِّلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمْ

السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

ح- ومن الحكمة: مدافعة الغزو الثقافي والفكري، وصد الشائعات، وكشف

الشبهات، وتسمية الأشياء بأسمائها الشرعية، وتبيين المصطلحات

على حقيقتها، فمن كيد أعداء الدين تلاعبهم بالمصطلحات لتبليس

(١) رواه البخاري (٣٠٢٩) و (٣٠٣٠) ومسلم (١٧٣٩) و (١٧٤٠) من حديث أبي

هريرة وجابر رضي الله عنهما.

الحق بالباطل، فحرب المصطلحات معركة خطيرة، شديدة الفاعلية، قوية التأثير، تتسلل كالخلية السرطانية إلى عقول الناس لتسكنها، وتبدأ في تخريب ما حولها، وذلك بعد أن يمكّن لها عن طريق الإلحاح الإعلامي، والمتأمل في القرآن الكريم يجد كثيرا من الآيات في إبطال دعاوى المشركين في القرآن والرسول ﷺ، وكشف شبهاتهم، وتسمية الأشياء على حقيقتها بوضوح كالإيمان والكفر والنفاق، وتصنيف الناس بحسب عقائدهم وأعمالهم إلى مؤمنين ويهود ونصارى ومجوس ومشركين، وذكر حقيقة الجهاد والمجاهدين ونحو ذلك من المصطلحات.

ط-ومن الحكمة: تحريض المؤمنين على الجهاد، والاهتمام الكبير بالتوجيه المعنوي، والإعلام الحربي، والحرب النفسية على الأعداء، قال الله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ٨٤].

ي-ومن الحكمة في الجهاد: وجود البيئة الحاضنة للمجاهدين في سبيل الله، فالله تعالى آوى نبيه ﷺ والمهاجرين في المدينة، ثم أيدهم بنصره في غزوة بدر الكبرى، ثم ما تلاها من فتوحات في عهد النبي عليه الصلاة والسلام

وخلفائه الراشدين، قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَدَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦]، فالماوى المناسب للمجاهدين أمر مهم في قواعد الحرب والسلم، في الماضي والحاضر والمستقبل.

ك- ومن الحكمة: تنقية صف المجاهدين من المرجفين والمخذلين والمنافقين والمفسدين، قال الله عن المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

ل- ومن الحكمة: تشجيع من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً على التوبة، وقبول توبة التائبين، واحتضانهم، وعدم الاستغناء عنهم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل: ١١٠].

م- ومن الحكمة: عذر من أخطأ الطريق من العاملين للإسلام في بعض الأمور من غير قصد للمخالفة، أو باجتهاد خاطئ أو تقدير مصلحة

مرجوحة، والثناء على كل من عمل للإسلام فيما أصاب فيه، والاستغفار له فيما أخطأ فيه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا اُعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، فمن غلب خيره شره فهو على خير، سواء كان سلطاناً أو أميراً أو وزيراً أو عالماً أو مفتياً أو مصنفاً أو عابداً أو مجاهداً أو طبيباً أو جماعة أو دولة أو غير ذلك^(١)، فكل مسلم تحرى الحق بقدر استطاعته، واجتهد فيما يقربه إلى الله، ثم أخطأ فينبغي عذره، والاستغفار له، مع التناصح والتواصي بالحق، وقد أمر الله بالاستغفار لأهل الإسلام المذنبين فقال سبحانه: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، فمن حق المسلم على جميع المسلمين أن يستغفروا الله له، فمن باب أولى من أخطأ من غير تعمد للخطأ، قال الله سبحانه: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾

(١) يُنظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٢/ ١٠٢، ١٠٣)، مفتاح دار السعادة

لابن القيم (١/ ١٧٦).

[الأحزاب: ٥]، وهذا من رحمة الله بعباده. وقد نص العلماء رحمهم الله تعالى على أن من أقدم على أمر مفسّق متأوّلًا لشبهة عنده أنه لا يَأْثُم، وأنه عدل لا تُجرح عدالته بوقوعه في ذلك الفسق ما دام تأويله سائغاً^(١).

١٢ - حسن الأخلاق:

الإسلام دين الأخلاق الكريمة، فهو يأمر بكل خلق حسن، وينهى عن كل خلق سيء، وقد قال الله عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۖ﴾ [القلم: ٤]، فمن أسباب النصر: التحلي بالأخلاق الفاضلة مع الأعداء، وهذا مما يدعوهم إلى الإسلام، ويرغبهم في التوبة إلى الله. واعلم أن الكفار أربعة أقسام: الأول: محاربون: وهم الذين يقاتلون المسلمين.

(١) يُنظر: الأحكام للآمدي (١١٨/٢)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام لابن عبد السلام (٢٧/١)، المسودة في الأصول لابن تيمية (ص: ٢٦٥)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢٣٩/٥)، حاشية العطار على شرح جمع الجوامع (١٧٨/٢)، شرح روضة الناظر لعبد الكريم النملة (٢١٢/٣).

الثاني: مستأمنون: والمستأمن هو: الحربي الذي دخل دار الإسلام بأمان دون نية الاستيطان بها.

الثالث: معاهدون: والمعاهد هو الذي له عهد مع المسلمين إما بأمان من مسلم أو هدنة من حاكم أو عقد جزية.

الرابع: ذميون: والذمي هو: المعاهد الذي أُعطي عهداً يأمن به على ماله وعرضه ودينه.

فالذين يقاتلهم المسلمون هم المحاربون فقط الذي يصدون عن سبيل الله، ويمنعون المسلمين عن تبليغ دين الله، أما من عداهم من المعاهدين والمستأمنين والذميين فلا يجوز قتالهم، قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة: ٨، ٩]، فالأصل في الكفار غير المحاربين أن يعاملوا بالحسنى، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فالإسلام دين الأخلاق والسماحة والرحمة، حتى في حال قتال الكفار المحاربين، كما قال الله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠]، وعن بُريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أَمَرَ أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من
 المسلمين خيراً ثم قال: ((اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا [أي: لا تأخذوا من الغنيمة قبل
 قسمتها]، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا [أي: بجثث قتلى المشركين]، وَلَا تَقْتُلُوا
 وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا
 أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ)) (١).

هذه أهم أسباب النصر والتمكين كما بينها الله لنا في القرآن الكريم، فإذا
 اتقى الله المسلمون فأخذوا بها بقدر استطاعتهم؛ فسينصرهم الله، ولن يخلف
 الله وعده، وإن ظلموا أنفسهم فقصّروا في الأخذ بها؛ فلا يلوموا إلا أنفسهم،
 وسينصر الله دينه بغيرهم، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
 أَمْرِ رَبِّهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣]، وقال عز
 وجل: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ ﴿٣٨﴾
 [محمد: ٣٨].

(١) رواه مسلم (١٧٣١).

الخاتمة

هذا الكتاب مدخل إلى علم الهدايات القرآنية، ومن أهم ما تضمنه الكتاب:

- ١ - التعريف بعلم الهدايات القرآنية وفضله وفوائده ونشأته وضوابطه ومسائله.
- ٢ - طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية ونماذج متنوعة من الهدايات القرآنية.
- ٣ - يجوز الاستنباط من القرآن العظيم بشرطين اثنين، هما:
الشرط الأول: أن يحتمل المعنى المستنبط ظاهرَ لفظ القرآن الكريم وسياقه، بما يوافق قواعد اللغة العربية في الأفراد والتركيب.
الشرط الثاني: أن لا يخالف المعنى المستنبط صريح القرآن أو ما صح من السنة النبوية، فإنَّ القرآن الكريم حقٌّ يصدق بعضه بعضًا، والسنة الصحيحة حقٌّ توافُق القرآن ولا تخالفه.
- ٤ - لا تجوز مخالفة السلف الصالح فيما ثبت إجماعهم عليه في التفسير؛ لأنَّ إجماعهم حجة، ومخالفتهم ضلالة، ولا يمنع مجرد ورود قول عن بعضهم دون ثبوت إجماعهم من إيراد قولٍ جديد في التفسير، إذا كان مما تحتمله وجوه الآية لغةً وسياقًا بلا تكلف، ولم يعارض دليلًا

شرعياً صحيحاً، ولا يسوغ الحكم ببطلان القول الجديد بمجرد عدم نقله عن السلف، ما دام موافقاً لظاهر الآية وسياقها، ولا يخالف أصول الشريعة ومقاصدها.

٥- السلف الصالح أكثر علمًا، وأقل تكلفًا، وأعظم خشية، والمفسرون الأقدمون أعلم بالقرآن ممن جاء بعدهم، وهم الذين أسسوا العلوم لبني عليها من جاء بعدهم، وليسوا معصومين من الخطأ، لكنهم بفضل الله لا يجتمعون على ضلالة، ولو سكتوا عن تفسير آية أو حديث أشكل عليهم فهذا لا يُنقص من قدرهم، فهم مأمورون أن يتدبروا القرآن بلا تكلف، وأن يكلوا ما أشكل عليهم إلى عالمه، وهذا من علمهم وفضلهم.

٦- من الخطأ إغلاق باب التجديد في التفسير مطلقاً، والاختصار على الاستفادة من كتب التفسير بالمأثور فقط، وإنكار كل معنى صحيح يحتمله لفظ القرآن لكون قائله من المتأخرين، ومن الخطأ أيضاً فتح الباب على مصراعيه لكل من هب ودب من غير ضوابط، وقد حذرنا الله من الذين يتبعون ما تشابه من كتابه، ويلحدون في آياته.

٧- حث المسلمين على تعلم القرآن الكريم وتعليمه تلاوة وحفظاً وتفسيراً

وتدبرًا، واستخراجًا لهداياته، والعمل بآياته، فهو سبيل النجاة، وطريق
الفلاح، وهو يهدي من تدبره للتي هي أقوم في جميع الأمور والأحوال،
ومن ذلك بيان القرآن وجوب طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، واتباع
سنته، واتباع أصحابه، وسؤال أهل العلم.

٨- دارس القرآن الكريم لا يتمكن من معرفة تفاصيل أحكام القرآن حتى
يتمكن من السنة النبوية، فالعموم والإجمال في القرآن كثير، والسنة
مفصلة لذلك العموم والإجمال، فعلى متدبر القرآن الكريم أن يفهم معاني
الآيات من خلال السنة النبوية القولية والفعلية، ويعتني بأقوال السلف
الصالح من الصحابة والتابعين، ولا تعارض بين الأمر بتدبر القرآن الكريم
وبين وجوب فهمه كما فهمه السلف الصالح.

٩- التأكيد على فضل القرآن وعظمته وبركته، وأن الله سبحانه جعله كتاب
هداية لتهدي به في جميع أمورنا، ونتذكر به ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، وأن
القرآن الحكيم لا تنقضي عجائبه وهداياته، وأنه يهدي المتدبرين للتي هي
أقوم في كل زمان ومكان، في جميع الأمور والأحوال، نصًّا أو دلالة أو
استنباطًا، عِلْمَهُ مَنْ عِلِمَهُ، وَجَهْلَهُ مَنْ جَهْلَهُ.

١٠- علماء المسلمين عبر العصور يستنبطون من القرآن الكريم الهدايات القرآنية الظاهرة والخفية، ويستدلون بالآيات القرآنية على كثير من مسائل العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والسياسة والرد على المخالف وغير ذلك مما يحتاج إليه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم، وما زال المجال مفتوحًا للمتدبرين بالضوابط التي بينها أهل العلم في التعامل مع الهدايات القرآنية.

المصادر والمراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط ١، ١٣٩٧هـ.
- (٣) الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ. (د. ط.).
- (٤) إثبات صفة العلو، موفق الدين عبد الله بن أحمد الشهير بابن قدامة المقدسي، تحقيق: أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- (٥) إجابة السائل شرح بغية الآمل، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: حسين السياغي وحسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.
- (٦) أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، علي بن عبد السلام التُّسُولي، تحقيق: عبد اللطيف أحمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

- (٧) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- (٨) أحكام القرآن، محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري الإشبيلي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- (٩) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أبي علي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- (١٠) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- (١١) أدب النفس، الحكيم الترمذي، محمد بن علي، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط١، ١٤١٣هـ.
- (١٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.
- (١٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

- (١٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- (١٥) الأزمنة والأمكنة، المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- (١٦) الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادى، جدة، ط١، ١٤١٣هـ.
- (١٧) إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- (١٨) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط٩، ١٤٢١هـ.
- (١٩) أصول الفقه، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، تحقيق: فهد السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- (٢٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

- (٢١) اعتقاد أئمة الحديث، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الجرجاني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
- (٢٢) الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤٣٣هـ.
- (٢٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- (٢٤) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- (٢٥) الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
- (٢٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- (٢٧) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، المدينة النبوية، ط ٥، ١٤٢٤هـ.
- (٢٨) الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط ٣، (د. ت).
- (٢٩) باب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- (٣٠) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ.
- (٣١) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي، ط ١، ١٤١٤هـ.
- (٣٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ. (د. ط)
- (٣٣) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتاب العربي. (د. ط)، (د. ت)
- (٣٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

- (٣٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ.
- (٣٦) بيان المعاني، عبد القادر بن ملا حويش، مطبعة الترقى، سوريا، دمشق، ط ١، ١٣٨٢هـ.
- (٣٧) بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- (٣٨) بيان فضل علم السلف على علم الخلف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار الصميعي، السعودية، ط ٢، ١٤٠٦هـ.
- (٣٩) تاج العروس، أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي الحسيني، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية. (د. ط)، (د. ت)
- (٤٠) تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- (٤١) تبصير الرحمن وتيسير المنان، علي بن أحمد المهامي، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

- (٤٢) التجريد، أحمد بن محمد القدوري، تحقيق: محمد أحمد سراج وعلي جمعة، دار السلام، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ.
- (٤٣) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، المرداوي، علاء الدين علي بن سليمان الصالحي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.
- (٤٤) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د. ط)، ١٩٨٤م.
- (٤٥) تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل، يحيى بن موسى الرهوني، تحقيق: الهادي شبيلي ويوسف الأخضر، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي، ط١، ١٤٢٢هـ.
- (٤٦) تدبر القرآن الكريم دراسة تأصيلية، محمد بن عبد الجواد الصاوي، مكتبة الأسرة العربية، ط١، ١٤٤٥هـ.
- (٤٧) تدبر آية الأخلاق، محمد بن علي بن جميل المطري، شبكة الألوكة.
- (٤٨) التدبر مفهومه اكتسابه إشكالياته، عبد الله جوان، الهيئة العالمية لتدبر القرآن، ط١، ٢٠١٩م.
- (٤٩) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجباني، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ.

(٥٠) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

(٥١) تشنيف المسامع بشرح جمع الجوامع، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: سيد عبد العزيز وعبد الله ربيع، مكتبة قرطبة، ط١، ١٤١٨هـ.

(٥٢) تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

(٥٣) تفسير ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

(٥٤) تفسير ابن عرفة لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

(٥٥) تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، إبراهيم بن السري، دار الثقافة العربية، ط١، (د. ت).

(٥٦) التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.

- (٥٧) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط ١، (د. ت).
- (٥٨) التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة، ط ١، ١٣٨٣ هـ.
- (٥٩) تفسير الراغب الأصفهاني للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، جامعة طنطا، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- (٦٠) تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- (٦١) تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، مصر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧ م.
- (٦٢) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ.
- (٦٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، عبد الله بن وهب بن مسلم المصري، تحقيق: ميكيلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣ م.

- (٦٤) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، (د. ت.).
- (٦٥) التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، مأمون حموش، الناشر المؤلف، سوريا، دمشق، ط ١، ١٤٢٨ هـ.
- (٦٦) التفسير المحرر، إعداد القسم العلمي في مؤسسة الدرر السنية، بإشراف علوي السقاف، مؤسسة الدرر السنية، الدمام، ط ١، ١٤٤٣ هـ.
- (٦٧) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ط ١، ١٣٦٥ هـ.
- (٦٨) التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- (٦٩) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، ١٩٩٠ م. (د. ط).
- (٧٠) التفسير المنير في العقيدة والشريعة، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، سوريا، دمشق، ط ٢، ١٤١٨ هـ.
- (٧١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧ م.

- (٧٢) تفسير جزء عم، محمد عبده المصري، الجمعية الخيرية الإسلامية، ط٣، ١٣٤١ هـ.
- (٧٣) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- (٧٤) التفسير والبيان لأحكام القرآن، عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، مكتبة دار المنهاج، السعودية، الرياض، ط١، ١٤٣٨ هـ.
- (٧٥) تقريب الهدايات القرآنية، محمد بن علي بن جميل المطري، كتاب منشور في شبكة الألوكة.
- (٧٦) التقرير والتحرير على تحرير الكمال بن الهمام، محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ.
- (٧٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ هـ.
- (٧٨) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م.
- (٧٩) التهذيب في التفسير، المحسن بن محمد بن كرامة الیهقي المعروف بالحاكم الجشمي، تحقيق: عبد الرحمن السالمي، دار الكتاب المصري،

- مصر، القاهرة، - دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٣٩ هـ.
- (٨٠) تيسير التحرير، محمد أمين البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- (٨١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- (٨٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- (٨٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول، أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، سوريا، دمشق، ط ١، ١٣٨٩ هـ.
- (٨٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- (٨٥) جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الإيجي)، محمد بن عبد الرحمن الإيجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ.

- (٨٦) جامع الرسائل، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، دار العطاء، الرياض، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- (٨٧) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- (٨٨) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤ هـ.
- (٨٩) الجامع لمسائل أصول الفقه على المذهب الراجح، عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- (٩٠) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار العروبة، الكويت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ.
- (٩١) جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الفكر، بيروت، ط ١، (د. ت.).
- (٩٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٤١٩ هـ.

- (٩٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، المغرب، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- (٩٤) حاشية ابن التمجيد على البيضاوي، (مطبوع مع حاشية القونوي)، مصلح الدين بن إبراهيم الرومي الحنفي، تحقيق: عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- (٩٥) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي) لشهاب الدين أحمد الخفاجي المصري، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- (٩٦) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- (٩٧) حاشية القونوي على البيضاوي، (مطبوع مع حاشية ابن التمجيد)، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، تحقيق: عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- (٩٨) حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، شيث بن إبراهيم القفطي، المعروف بابن الحاج القناوي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

(٩٩) حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

(١٠٠) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط) (د. ت).

(١٠١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د. ط) (د. ت).

(١٠٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، (د. ط) (د. ت).

(١٠٣) الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، محمد بن محمود بن أحمد البابرقي الحنفي، تحقيق: ضيف الله العمري وترحيب الدوسري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

(١٠٤) الرسالة التبوكية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة، (د. ط)، (د. ت)

(١٠٥) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ.

١٠٦) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي، مكتبة الأسد، مكة، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٠٧) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الخلوقي، دار الفكر، بيروت، ط١، (د.ت).

١٠٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٠٩) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١١٠) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

١١١) الزهد، أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١١٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ.

(١١٣) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)

(١١٤) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب، مطبعة بولاق، القاهرة، ط١، ١٢٨٥هـ.

(١١٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، السعودية، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

(١١٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، السعودية، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

(١١٧) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي، دار الوراق، ط١، ٢٠٠٠م.

(١١٨) السنة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

(١١٩) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، (د. ط)، (د. ت).

- (١٢٠) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- (١٢١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٥ هـ.
- (١٢٢) سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (١٢٣) السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن شلبي، بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- (١٢٤) سنن النسائي، السنن الصغرى (المجتبى)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
- (١٢٥) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
- (١٢٦) شرح المفصل، ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

- (١٢٧) شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
- (١٢٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- (١٢٩) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- (١٣٠) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- (١٣١) الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار، صنعاء، ط٤، ١٤٢٢هـ.
- (١٣٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط.). (د. ت.).
- (١٣٣) صريح السنة، ابن جرير، محمد بن جرير الطبري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- (١٣٤) طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط.). (د. ت.).

(١٣٥) طبقات علماء الحديث، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ.

(١٣٦) طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها دراسة تأصيلية تطبيقية، طه عابدين، مكتبة المتنبي، السعودية، ط١، ١٤٤١هـ.

(١٣٧) طرق الكشف عن مقاصد الشارع، نعمان جعيم، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤٣٥هـ.

(١٣٨) العثمانية، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

(١٣٩) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٦هـ.

(١٤٠) علم مقاصد السور، محمد الربيع، جامعة القصيم، ط١، ١٤٢٣هـ.

(١٤١) العلم، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: صلاح الدين محمود، مكتبة نور الهدى، (د. ط) (د. ت).

(١٤٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

- ١٤٣) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحرائی، دار الكتب العلمية، بیروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- ١٤٤) فتح الباری شرح صحیح البخاری، أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، دار المعرفة، بیروت، ١٣٧٩ هـ، (د. ط).
- ١٤٥) فتح الرحمن فی تفسیر القرآن، مجیر الدین بن محمد العلیمی الحنبلی، دار النوادر، دمشق، ط ١، ١٤٣٠ هـ.
- ١٤٦) فتح القدر الجامع بین فنی الروایة والدراية من علم التفسیر، محمد بن علی الشوکانی، دار ابن کثیر، سوريا، دمشق، ط ١، ١٤١٤ هـ.
- ١٤٧) فتح رب البرية بتلخیص الحمویة، ابن عثیمین، محمد بن صالح، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، (د. ت).
- ١٤٨) فتوح الغیب فی الكشف عن قناع الريب (حاشية الطیبي علی الكشف)، الحسین بن عبد الله الطیبي، تحقیق: محمد عبد الرحیم، جائزة دبي الدولية للقرآن الکریم، الإمارات، دبي، ط ١، ١٤٣٤ هـ.
- ١٤٩) الفِصل فی الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علی بن أحمد بن سعید بن حزم الأندلسي الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ١٥٠) فصول مهمة فی تاریخ التفسیر، محمد بن علی بن جمیل المطري، شبكة الألوكة.

١٥١) فقه الأدعية والأذكار، العباد، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

١٥٢) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، علوان، نعمة الله بن محمود النخجواني، دار ركابي للنشر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.

١٥٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، القاهرة - لبنان، بيروت، ط١٧، ١٤١٢هـ.

١٥٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، القاهرة، ط١، ١٣٥٦هـ.

١٥٥) قطف الأزهار وكشف الأسرار، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، وزارة الأوقاف القطرية، قطر، ط١، ١٤١٤هـ.

١٥٦) القواعد الحسان لتفسير القرآن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٥٧) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی، محمد بن صالح العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٢١هـ.

١٥٨) القواعد والأصول وتطبيقات التدبر، خالد بن عثمان السبت، دار الحضارة، ط١، ١٤٣٧هـ.

(١٥٩) الكاشف عن حقائق السنن، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، مكة، ط١، ١٤١٧هـ.

(١٦٠) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل لجار الله محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت ط٣، ١٤٠٧هـ.

(١٦١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

(١٦٢) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

(١٦٣) لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، ط٣، (د. ت).

(١٦٤) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، السفاريني، محمد بن أحمد الحنبلي، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ.

(١٦٥) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ.

- (١٦٦) المبادئ العشرة لعلم الهدايات القرآنية، فخر الدين الزبير، نشر كرسي الهدايات القرآنية ومؤسسة النبأ العظيم. (د. ط) (د. ت).
- (١٦٧) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- (١٦٨) مجلة القلم، العدد (٢٣)، اليمن - إب، سنة ٢٠٢١م.
- (١٦٩) مجلة تدبر، العدد (١١)، السنة السادسة، السعودية، محرم ١٤٤٣ الموافق الموافق أغسطس ٢٠٢١م.
- (١٧٠) مجلة تدبر، العدد (٧)، السنة الرابعة، السعودية، محرم ١٤٤١ الموافق سبتمبر ٢٠١٩م.
- (١٧١) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ. (د. ط).
- (١٧٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- (١٧٣) المحرر الوجيز، عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

(١٧٤) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٨هـ.

(١٧٥) مختصر تفسير سورة الأنفال، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر)، محمد بن عبد الوهاب النجدي، تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، الرياض، ط١، (د.ت).

(١٧٦) المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

(١٧٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

(١٧٨) المدخل، محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، دار التراث، (د.ط) (د.ت).

(١٧٩) مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ٢٠٠١م.

١٨٠) المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله النیسابوری المشهور بالحاکم، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط ١، ١٤١١هـ.

١٨١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشیبانی، شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بیروت، ط ١، ١٤٢١هـ.

١٨٢) مصاعد النظر للإشراف علی مقاصد السور، إبراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ.

١٨٣) المصنف فی الأحادیث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقیق: کمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.

١٨٤) مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية، أبو الفيض أحمد الغماري، مكتبة القاهرة، ط ٦، ١٣٩١هـ.

١٨٥) معارج التفكير ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢١هـ.

١٨٦) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، الرياض، ط ٥، ١٤٢٧هـ.

- ١٨٧) معاني القراءات، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤١٢هـ.
- ١٨٨) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ١٨٩) معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، فاضل صالح، دار الفكر، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ١٩٠) معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ١٩١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، مصر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- ١٩٢) المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، (د. ت).
- ١٩٣) معجم المناهي اللفظية، أبو زيد، بكر بن عبد الله، دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ.
- ١٩٤) المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، (د. ط)، (د. ت).

١٩٥) المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد بن أحمد مكي، مؤسسة الريان، لبنان، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، السعودية، جدة، ط٢، ١٤٣١هـ.

١٩٦) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، عبد الله بن يوسف، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

١٩٧) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٩٨) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

١٩٩) المفصل في صناعة الإعراب، جار الله محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٢٠٠) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ.

٢٠١) المقاصد الكبرى للقرآن الكريم دراسة تأصيلية، طه عابدين، مؤسسة النبأ العظيم، مكة المكرمة، (د. ط) (د. ت).

- (٢٠٢) المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع، مركز البحوث الإسلامية ليدز، بريطانيا، ط١، ١٤٢٢هـ.
- (٢٠٣) من هدي سورة الأنفال، محمد أمين المصري، مكتبة دار الأرقم، الكويت، (د. ط)، (د. ت)
- (٢٠٤) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.
- (٢٠٥) المذهب في علم أصول الفقه المقارن، عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- (٢٠٦) الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، ط١، ١٤١٧هـ.
- (٢٠٧) موسوعة التفسير المأثور، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، إشراف مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٩هـ.
- (٢٠٨) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية، (د. ط) (د. ت).

٢٠٩) نشر البنود على مراقبي السعود، عبد الله بن إبراهيم الشنقيطي، مطبعة

فضالة، الدار البيضاء، ط ١، (د. ت).

٢١٠) النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الجزري، تحقيق: علي

الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، (د. ط). (د. ت).

٢١١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، القاهرة،

دار الكتاب الإسلامي. (د. ط)، (د. ت)

٢١٢) نفائس الأصول في شرح المحصول، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق:

عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى

الباز، السعودية، ط ١، ١٤١٦هـ.

٢١٣) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، محمد بن علي

الكرجي القصّاب، تحقيق: علي التويجري وإبراهيم الجنيدل وشايع

الأسمرى، دار القيم، السعودية، الدمام - دار ابن عفان، القاهرة، مصر،

ط ١، ١٤٢٤هـ.

٢١٤) النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي،

بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ط)، (د. ت).

٢١٥) نواسخ القرآن، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: آل زهوي،

شركة أبناء شريف، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢١٦) نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير

البيضاوي)، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جامعة أم القرى، مكة

المكرمة، ١٤٢٤هـ.

٢١٧) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، طه عابدين طه وياسين بن حافظ قاري

وفخر الدين الزبير، مكتبة المتنبي، الدمام، ط١، ١٤٣٨هـ.

٢١٨) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكّي بن أبي طالب، مجموعة بحوث الكتاب

والسنة - كلية الشريعة - جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢١٩) هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها، فريد الأنصاري، دار السلام، القاهرة،

ط٣، ١٤٣٥هـ.

٢٢٠) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي

بكر، مصر، المكتبة التوفيقية، (د. ت).

٢٢١) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، محمد صدقي بن أحمد بورنو

الغزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٦هـ.

٢٢٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

المحتويات

المقدمة	٣
تعريف الهدايات القرآنية	٥
موضوع الهدايات القرآنية واستمداده	٧
نشأة علم الهدايات القرآنية	١١
نسبة علم الهدايات القرآنية	١٤
فضل علم الهدايات وأهميته	١٧
فوائد علم الهدايات القرآنية	١٩
وصف الهدايات القرآنية وخصائصها	٢١
مسائل علم الهدايات القرآنية	٢٣
حكم علم الهدايات القرآنية	٢٥
حال الناس مع الهدايات القرآنية	٢٨
موانع الانتفاع بالهدايات القرآنية	٣٠
أساليب القرآن في عرض الهدايات القرآنية	٣٢
وسائل القرآن في عرض الهدايات القرآنية	٣٩
مشروعية استخراج الهدايات القرآنية إلى قيام الساعة	٤٣

طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية.....	٧٦
قواعد في استخراج الهدايات القرآنية والاستفادة منها.....	١٢٧
ضوابط في التعامل مع الهدايات القرآنية.....	١٥٤
عبارات العلماء عند ذكر الهدايات القرآنية.....	١٥٧
الفرق بين الهدايات القرآنية الجزئية والكلية.....	١٦٠
نماذج من الهدايات القرآنية.....	١٦٢
(١).....	١٦٢
(٢).....	١٧٧
(٣).....	١٩٦
(٤).....	٢٢٠
(٥).....	٢٣٤
(٦).....	٢٣٨
الخاتمة.....	٢٦٣
المصادر والمراجع.....	٢٦٧
المحتويات.....	٢٩٨